

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

شخصية نوح-عليه السلام-

في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2008م

شخصية نوح- عليه السلام-

في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: ٢٠٠٨/١/٢١م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

.....
.....

١- د. محسن سميح الخالدي / مشرفاً.

.....
.....

٢- د. إسماعيل أمين نواهضة / ممتحناً خارجياً

.....
.....

٣- د. خالد خليل علوان / ممتحناً داخلياً

من الدستور الإلهي

قال تعالى: [وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود:120].

وقال تعالى: [مَنْ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ] [يوسف:3].

وقال تعالى: [لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِنْ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ] [يوسف:111].

الإهداء

إلى النور الذي اتبعناه، إلى المترع عظمة، وأمانة، وسمواً.
إلى محمد رسول الله، الذي جمع الله له من رؤية الحق، ورفعة النفس، ما شرفت به الحياة،
وأضاعت به مقادير الإنسان...!
إلى نبع المحبة والعطاء....(أمي وأبي) الحبيين.
إلى زوجتي الوفية(أم عكرمة) التي شاركتني هموم الحياة، وصبرت معي على شدائد العلم
والتحصيل، فكانت لي بعد الله نعمَ المؤازر والمعين.
إلى فلذات كبدي.. ورياحين قلبي.. أبنائي الأعمام (عكرمة، وساجدة، و أبرار، ومحمد)جعلهم
الله ذخراً للإسلام والمسلمين.
إلى كل ذي فضل ومن له حق عليّ....مشرفين وأساتذة ومعلمين.
إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله في الأولى والآخرة على ما أنعم به ومنَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة، واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى: [وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ] [النمل:40] ومن الهدي النبوي في شكر الناس، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)⁽¹⁾ فإنني أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لفضيلة الدكتور: ♥ محسن سميح الخالدي ♦ ، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأحاطني بعنايته ورعايته ولطفه، ولم يبخل عليَّ بأي نصيح أو توجيه أو إرشاد، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الدكتور ♥ محمد السيد ♦ ، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته سواء في إعداد الخطة للرسالة أو في اختيار عنوانها ولا يفوتني أن أعرب عن جزيل الشكر لكل من الدكتور: ♥ إسماعيل أمين نواهضة ♦ ، والدكتور: ♥ خالد خليل علوان ♦ - أعضاء لجنة المناقشة- لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة. جزاهما الله عني كل خير، كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة وأخص بالذكر الأساتذة الأفاضل :

الأستاذ: ♥ محمد عبد الفتاح يوسف ♦ ، والأستاذ: ♥ محمود رياض أبو عبيد ♦ ، والأستاذ: ♥ أحمد نصري جردات ♦ ، وابن أخي السيد: ♥ محمد فضيل زغل ♦ ، لما قدموه لي من الإشراف والعمل على طباعة هذا البحث، وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى الإخوة القائمين على مكتبة مسجد جنين الكبير والعاملين فيها.

وختاماً لا أنسى أسرتي في مدرسة الإيمان الأساسية إدارةً وأكاديميين، وعاملين، وأخص بالشكر الأستاذ: ♥ نائل علي عمور ♦ (مدير المدرسة)، وذلك لما بذلوه لي من حُسن رعاية، وتشجيع، واهتمامٍ بالغ. فجزاهم الله عني كل خير.

والله ولي التوفيق.

¹ - رواه الترمذي. كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم (1954) وقال: حسن صحيح. انظر. الترمذي: محمد بن عيسى (ت: 279هـ): الجامع الصحيح (5مج) دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (339/4) وسأشير إليه فيها بعد هكذا (الترمذي: سنن الترمذي).

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ت	من الدستور الإلهي
ث	الإهداء
ج	شكر وتقدير
ح	فهرس الموضوعات
ذ	ملخص البحث
1	المقدمة
3	أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه
3	الدراسات السابقة
3	منهج الدراسة والبحث
5	خطة البحث
6	التمهيد
7	المبحث الأول: تعريف القصص القرآني.
7	المطلب الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة.
7	المطلب الثاني: تعريف القصص القرآني في الاصطلاح.
8	المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله.
8	المطلب الأول: أهداف القصص القرآني وفوائده.
15	المطلب الثاني: أحوال القصص القرآني.
18	المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني.
18	المطلب الأول: خصائص وميزات القصص القرآني.
22	المطلب الثاني: خصائص وسمات القصص الإنساني.
28	الفصل الأول: التعريف بنبي الله نوح وبيان خصائصه، وعلاقته بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.
28	المبحث الأول: التعريف بنبي الله نوح .٧
28	المطلب الأول: نسب نوح .٧

29	المطلب الثاني: أسرة نوح U.
29	الفرع الأول: والدا نوح U وزوجته.
32	الفرع الثاني: أولاده.
38	المطلب الثالث: البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح U.
38	الفرع الأول: البيئة التي نشأ فيها نوح U .
39	الفرع الثاني: المكان الذي عاش فيه نوح U.
42	المطلب الرابع: عمره ووفاته.
44	المبحث الثاني: خصائص نوح U ومعالم شخصيته.
44	المطلب الأول : خصائص نوح U .
49	المبحث الثالث: علاقة نوح U بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.
49	المطلب الأول: بين نوح وآدم - عليهما السلام-.
49	الفرع الأول: آدم أول الأنبياء.
51	الفرع الثاني: نوح U أول رسول للبشر:
55	المدة بين آدم ونوح-عليهما السلام- .
56	المطلب الثاني: بين نوح ومن بعده من الأنبياء.
56	الفرع الأول: نوح الأب الثاني للبشر.
57	الفرع الثاني: فلسفة تكامل الرسالات .
59	الفرع الثالث: تكاملية العلاقة بين نوح U وبين رسل الله جميعاً.
60	المطلب الثالث: بين نوح ومن بعده من الأقوام.
60	الفرع الأول: التشابه والتماثل في العلاقة بين قوم نوح U ومن بعده من الأقوام.
63	الفرع الثاني: بين نوح وأمة محمد ع.
64	الفصل الثاني: قوم نوح U.
64	المبحث الأول: كفر قوم نوح U وتكذيبهم.
64	المطلب الأول: كفر قوم نوح U .
65	المطلب الثاني: تكذيب قوم نوح U وعنادهم.
65	الفرع الأول: تكذيب قوم نوح U، وسبب تكذيبهم لنبيهم.

67	الفرع الثاني: عنادهم وإصرارهم على التكذيب.
69	المطلب الثالث: جدال قوم نوح U.
79	المبحث الثاني: مصير قوم نوح U.
79	تمهيد: سبب إهلاك الأمم .
80	المطلب الأول: صنع السفينة وبدء الطوفان.
80	الفرع الأول: صنع السفينة.
84	الفرع الثاني: بدء الطوفان.
86	المطلب الثاني: حدوث الطوفان.
86	المطلب الثالث: انتهاء الطوفان واستواء السفينة.
90	المطلب الرابع: آثار الطوفان وهل عمَّ الأرض أم لا ؟
93	الفصل الثالث: دعوة نوح U.
93	المبحث الأول: نوح الداعية.
93	المطلب الأول : أساليب الدعوة عند نوح U.
99	المطلب الثاني : عمر الدعوة ونتائجها.
99	الفرع الأول: عمر الدعوة.
101	الفرع الثاني: نتائج الدعوة.
105	المبحث الثاني: الدروس المستفادة من قصة نوح U .
120	الخاتمة وأهم النتائج.
123	مسرد الآيات.
134	مسرد الأحاديث.
136	مسرد الأعلام.
140	مسرد المراجع والمصادر.
B	الملخص بالانجليزية.

شخصية نوح-عليه السلام-

في القرآن الكريم

إعداد

حسن محمد حسين زغل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

نوح   هو أول رسول بعثه الله-تعالى- إلى أهل الأرض بعد آدم  ⁽¹⁾. أرسله الله - تعالى- إلى قومه؛ ليأمرهم بعبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه من أصنام ونحوها، وخوفهم من عذاب الله إن خالفوه ولم يؤمنوا به، لكنهم استمروا على كفرهم. وقد لبث نوح   يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، وجادلهم وجادلوه في دعوته، ومع هذا كله لم يؤمن من قومه إلا قليل، وحث قصته   دروساً وعبراً وفوائد ذات قيمة عظيمة للدعاة العالمين، وللمؤمنين المتقين. وقد أخبره الله-تعالى- بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، -وهم قلة كما قلنا- وحينئذ دعا نوح على قومه فقال الله- تعالى- عن دعاء نوح: [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾] إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا [نوح:26-27]. قال ابن كثير: " وإنما دعا نوح على قومه بهذا الدعاء لخبرته بهم، أي لخبرته بقومه، ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً"⁽²⁾. وقد نقل القرطبي عن الضحاك أن الله- تعالى- أخبر نوحاً   بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فدعا عليهم نوح  ⁽³⁾.

¹ ابن كثير. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت:774هـ) تفسير القرآن العظيم (4مج) دار الفكر (بيروت) (بلاط 1401هـ-1981م (2/223)).

² المصدر السابق (4/427).

³ انظر. الطبري. أبا جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ) جامع البيان في تأويل آي القرآن (101/29)، القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (29/9).

وقد استجاب الله- سبحانه وتعالى- دعوته فأمره بصنع السفينة، فلما أتم صنعها، وحان وقت هلاكهم بالغرق أمره الله-تعالى- بأن يحمل فيها ما أخبرنا به، قال تعالى: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] [هود:40]، وهكذا أهلكهم الله بالغرق بعد أن أمهلهم هذه المدة الطويلة؛ لأن الله-تعالى- يمهل ولا يهمل، وهذا جزاء الظالمين الكافرين.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده - تعالى - حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على سيدي، ومعلمي، معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، وختم برسالته رسالات الأنبياء، وبشريعته شرائعهم، وأكمل له الدين، وأتم به عليه النعمة سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه إلى يوم الدين.

فمن أجمل ما تضمنته موضوعات القرآن الكريم قصصه الرائعة التي تتناول سير الأنبياء والرسول، والأمم والشعوب، والملوك والحكام، والتابعين والمنتبوعين، وغير ذلك مما يفيض به هذا الكتاب الحكيم الذي [لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] [أفصلت:42].

ولا يوجد أروع من قصص القرآن لأنه الحق الذي لا باطل فيه، إذ فيها دحض لما يتقوله بعض المغرضين من أعداء الإسلام الذين يزعمون أن قصص القرآن يعارض الواقع ولا ينبغي أن نتخذة مصدراً للتاريخ. وهذا محض افتراء، لأن القرآن نزل من عند -الله تعالى-، وهو الخبير بأحوال عباده أن لا وأبداً.

والحقيقة الدامغة أن قصص القرآن صدق وحق، وأن علم الآثار والدراسة المنهجية للتاريخ يكشف للعلماء المختصين صدق الرواية القرآنية. إن قصص القرآن الكريم خير ما يلتمسه القارئ من القصص، لأنه القصص الهادف الذي يجمع إلى جلال الموضوع صدق الهدف، وروعة المعنى، وجمال التعبير، وحسن الأداء، وقوة التأثير، إن قصصه تأخذ بمجامع القلوب، وتستولي على الألباب والعقول، وتأسر القارئ بجمالها وجلالها.

لقد ورد القصص القرآني في آيات عديدة من سور القرآن الكريم، وأخذ مساحة واسعة من القرآن، وقد كان من أهم أقسام هذا القصص القرآني، وأوسع أبوابه: قصص الأنبياء والمرسلين. وأخبرنا الله -تعالى- أن قصص هؤلاء المرسلين والأنبياء العظام في القرآن هو أحسن القصص، وهو القصص الحق، وأخبرنا أن القصص القرآني ليس لمجرد التسلية والاستمتاع، وإنما هو لتحقيق أهداف علمية وفكرية، وتربوية ودعوية.

إن السامعين يتفكرون عندما يسمعون قصص القرآن: [... فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ] [الأعراف:176].

وإن أولي الأبواب يعتبرون من قصص القرآن: [لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...] [يوسف:111].

وان الدعاة يزدادون ثباتاً على الحق، وإصراراً على مواجهة الباطل، عندما يطلعون على مواقف الأنبياء والمرسلين من أقوامهم [وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ ...] [هود:120].

ومن هؤلاء المرسلين النبيين، والدعاة إلى الله المخلصين: (نوح U)، هذا الرسول الكريم الذي قام بواجب الدعوة إلى الله -تعالى- على أكمل وجه، وبلغ قومه الدعوة كما أمره الله. وقد سلك معهم مختلف الأساليب والوسائل في دعوتهم إلى الإيمان بالله -تعالى- وعبادتهم إياه وحده، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلوا عن الباطل، ويتبعوا الحق. وقد استغرقت هذه الأساليب - من الجهر، والعلن، والسر - وقته كله، في ليله ونهاره، كما أنه استمر على هذه الأساليب [... أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ...] [العنكبوت:14].

إنه بذلك يكون قدوة للدعاة إلى الله، الذين كلّفهم الله بواجب الدعوة، وتوظيف أعمارهم التي لا تتعدى عشرات السنين في أداء هذا الواجب. وقد أخبرتنا آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن الرسول الداعية، الذي ثبت على دعوته إلى الله، وتحدى قومه، وواجههم، ووقف أمامهم بكل صبر واستعلاء، فما هو السر في قوة نوح U، الذي دفعه إلى هذا التحدي، وهذه الثقة؟ وما هو مصدر قوة نوح U الذي دفعه للوقوف أمام جمعهم وحشدهم، بكل ثبات واستعلاء؟. لهذا أحببت أن أبرز ملامح شخصية نوح U، وأجمع شتات الكلام عنه فيما تفرّق في الآيات والسور القرآنية حتى أعطي صورة شمولية عن هذه الشخصية العظيمة.

أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه:

- 1- نوح U هو أول الرسل الكرام إلى الأرض، وأحد الأنبياء العظام المذكورين في القرآن الكريم، ممّن أمرنا بالإيمان بهم، والافتداء بهديهم.
- 2- يُعد نوحٌ U نموذجاً متميزاً في الدعوة إلى الله .
- 3- كثرة المواقف والمشاهد التي تحتاج إلى تحليل وتوجيه، مما يخصّ هذا النبي الرسول، مما ورد في القرآن الكريم.

- 4- نوح ٧ هو أول من سلك في طريق الدعوة إلى الله مختلف الأساليب والوسائل الدعوية في الإقناع والتأثير.
- 5- نوح ٧ هو أطول الأنبياء عمراً في الدعوة، والمدة الزمنية، والحصيلة الإيمانية لدعوته ٧ ما عرفتها البشرية من قبله ولا من بعده.
- 6- قدرة نوح ٧ على دحض شبه قومه، ودفع حججهم وافتراءاتهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

الدراسات السابقة:

لم يقع تحت يدي دراسة مستقلة وافية عن هذا النبي الرسول ، سوى ما كتب مفرقاً في كتب التفسير، والقصص النبوي، والتاريخ، وغيرها، وقد بحثت من خلال شبكة المعلومات، واتصلت بمكتبة الجامعة الأردنية فلم أجد أحداً قد كتب في هذا الموضوع تحت هذا العنوان. وهذا لا ينفي أن أحداً من طلبة العلم قد كتب في هذا الموضوع من قبل ذلك.

منهج الدراسة والبحث:

اتبعت الباحثة منهجية التفسير الموضوعي، فجمع الآيات التي تكلمت عن نوح ٧ ونظر في شخصيته كما صورها القصص القرآني، متبعاً في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي، فقام بتحليل وتوجيه المواقف التي أوردها القرآن الكريم عن شخصية هذا النبي الكريم، والتي هي بحاجة لتحليل وتوجيه باذلاً في ذلك وسعه وجهده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

- 1- جمع كل ما يتعلق بهذا الرسول الكريم من القرآن الكريم، وذلك بالاستعانة بالمراجع المختصة بذلك.
- 2- الرجوع إلى أمات كتب التفسير - القديمة منها والحديثة - لمعرفة ما كُتب عن هذا الرسول الكريم.
- 3- الرجوع إلى كتب أهل الكتاب - خاصة التوراة - ومقارنة ما ورد فيها بما جاء في القرآن الكريم.
- 4- عدم الاعتماد على الروايات الإسرائيلية إلا ما أذن لنا فيه شرعنا.
- 5- الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم، لمعرفة معاني الألفاظ الغريبة، والمفردات التي تحتاج إلى بيان.
- 6- دراسة الوقائع، وتحليل الأحداث، وعدم الاكتفاء بالسرد القصصي.

- 7- توثيق النقول توثيقاً كاملاً، وعزوها إلى المصادر الأصلية. والمصدر الذي يرد ذكره لأول مرة أوثقه كاملاً في الهامش وإذا تكرر اذكره مختصراً بذكر اسم الشهرة للمؤلف، واسم الكتاب، ورقم الجزء و الصفحة.
- 8- وضع الكلام المنقول حرفياً بين شارتي تنصيص " ، وما نُقل بالمعنى اصدره بـ (انظر).
- 9- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- 10- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها. وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذلك. فإذا كان في أحدهما لم أتجاوز ذلك. فان لم يكن: تتبّعت في السنن الأربعة ومسند أحمد. فإن لم أجده فيها ذكرت مصدره الذي ورد فيه.
- والحديث الذي في الصحيحين أو أحدهما لا أحكم عليه اكتفاء بما أُطبق عليه عامة العلماء من صحة ما ورد فيهما، فان لم يكن في الصحيحين اكتفيت بعزوه إلى مصادره.
- 11- ترجمة مختصرة لبعض الأعلام المغمورين غير المشهورين عند ورود اسم العلم لأول مرّة.
- 12- تقسيم البحث إلى مجموعة من الفصول، والمباحث، والمطالب.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة وفقاً لما يأتي:

- في المقدمة ذكرت أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة التي اتبعتها، وخطة البحث.

- وفي التمهيد: تناولت فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله.

المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني.

الفصل الأول: التعريف بنبي الله نوح U وبيان خصائصه، وتناولت هذا التعريف في ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: نسب نوح U (نسبه، وأسرته، والبيئة والمكان اللذان عاش فيهما، وعمره

ووفاته).

المبحث الثاني: خصائص نوح U ومعالم شخصيته، (خصائصه، ومعالم شخصيته).

المبحث الثالث: علاقة نوح U بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.

الفصل الثاني: كفر قومه له وتكذيبهم إياه، وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كفر قوم نوح U وهل أرسل إليهم نبي غيره؟

المبحث الثاني: تكذيب قوم نوح U وعنادهم.

المبحث الثالث: جدال قوم نوح U.

وفي

المبحث

الفصل الثالث: تحدثت عن دعوته U، وقسمته إلى مبحثين:

الأول: نوح الداعية.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من قصة نوح U.

وفي الخاتمة: ذكرت بإيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وهذا الذي بذلته من الدراسة والبحث، هو جهد المقل إن أحسنت فيه فمن الله، وله الحمد

والمنة، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم على ذلك.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلني من طلبة

العلم العاملين، والدعاة المخلصين، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً إنه سميع

مجيب.

التمهيد

التعريف بالقصص القرآني وبيان أهدافه وأحواله

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف القصص القرآني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف القصص القرآني في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أهداف القصص القرآني وفوائده.

المطلب الثاني: أحوال القصص القرآني.

المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: خصائص وميزات القصص القرآني.

المطلب الثاني: خصائص وسمات القصص الإنساني.

المبحث الأول: تعريف القصص القرآني، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني في اللغة.

جاء في المعجم لابن فارس في مادة:قصّ:

" القاف والصاد: أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعتّه. ومن ذلك اشتقاق القصص في الجراح، وذلك أنه يُفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصّ أثره. ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر.

وأما الصدر فهو القصّ، وهو عندنا قياس الباب، لأنه متساوي العظام، كأن كل عظم منها يُتبع للآخر.

ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للآخرى مساوية لها في طريقها"⁽¹⁾.

مما سبق نخلص إلى ما يلي: أن كلمة(قصص): تقوم على التتبع، سواء كان هذا التتبع مادياً كقص الشعر والعظام، أو معنوياً: كقص الأخبار وذكر الروايات.

المطلب الثاني: القصص القرآني في الاصطلاح .

جاء على لسان كثير من العلماء تعريفات كثيرة للقصص القرآني وكلها متقاربة.

من هذه التعريفات:

تعريف مناع القطان، قال: "قصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة. وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"⁽²⁾.

1- ابن فارس. أبو الحسين احمد، (ت:395هـ) معجم مقاييس اللغة، (6مج) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1392هـ - 1972م. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (11/5). وسأشير إليه فيما بعد هكذا (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة)، وانظر. الجوهري. أبو نصر إسماعيل بن حمّاد(ت:393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.(7مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1420هـ-1999م. تحقيق: د. ايميل بديع يعقوب ود.محمد نبيل طريفي.(257/3)، وابن منظور. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت:711هـ) لسان العرب(15مج) دار صادر(بيروت)ط1: 1410هـ-1990م.(77-73/7)، والفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب(ت:817هـ) القاموس المحيط(4مج) دار الجيل(بلاط) (2-324/325)، والزبيدي. محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي(ت:1170هـ) شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس(9مج) دار الفكر(بلاط) (4-421/423).

2- القطان. مناع. مباحث في علوم القرآن(جزء واحد) مؤسسة الرسالة(بيروت) ط9: 1400هـ - 1980م. (ص:306)، وسأشير إليه فيما بعد هكذا(القطان: مباحث في علوم القرآن).

ومن هذه التعريفات أيضاً تعريف الهاشمي صاحب جواهر الأدب، قال: " القصص: معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال المأثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجّار، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي والنفسي، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة ببعضها ارتباطاً حيويّاً وثيقاً" (1).

المبحث الثاني: أهداف القصص القرآني وفوائده وبيان أحواله.

المطلب الأول: أهداف القصص القرآني وفوائده.

"إن أهداف القصة القرآنية لا تتفصل عن أهداف القرآن الكريم عامة وعن أهداف الدعوة الإسلامية خاصة، ومما هو جدير بالإشارة أن القصة القرآنية الواحدة قد ترد في مواضع متعددة من القرآن الكريم لهدف جديد أو عبرة جديدة، أو لتثبيت الفكرة الواحدة عن طريق عرضها بأساليب متعددة أو من عدة زوايا، وذلك لأن تعدد ذكرها يفيد في تثبيت الأفكار وتحقيق الأهداف والغايات" (2).

ومن أهداف القصة القرآنية (3):

1. الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالبعث، وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس، وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء، وبيان وحدة دعوتهم إلى هذا. وبيان أن ملة الكفر واحدة، وأن شبهات الكفار واحدة على مر العصور والأزمان، قال تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ] [النحل: 36].

2. تثبيت الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم من أذى أقوامهم وتعذيبهم، وكيف صبروا على ما أودوا، وكيف كانت الغلبة

1- الهاشمي. أحمد. جواهر الأدب (مج) دار الفكر. ط:1 (22/2).

2- عباس. د. فضل حسن. قصص القرآن الكريم (جزء واحد) دار الفرقان(عمان) ط:1 1420 هـ-2000م (ص:44).

3- انظر النقاط (1-5) طبارة. عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم (جزء واحد) دار العلم للملايين (بيروت) ط:17: 1989م. (ص: 24-25)، وعباس. د. فضل حسن. قصص القرآن الكريم (جزء واحد) دار الفرقان (عمان) ط:1420 هـ - 2000م. (ص: 44-45).

للإيمان، وما حل بأقوامهم من دمار وعذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد. فسنة الله دائماً نصره أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وإهلاك المكذبين.

3. تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية الماثلة في القصص القرآني، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام، والحض على التوبة للمسيء، وهذا كله يكون بتقديم أمثلة لشخصيات تمثل جانب القدوة الإيجابية كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف في صبره وعفته وتسامحه، وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب السلبي كقارون باغتراره بالمال والجاه، وفرعون في تعاليه وغروره وإصراره على الكفر، وقوم لوط في إصرارهم على الفواحش. وهنا نجد القرآن الكريم يحض من خلال عرض قصصهم على البعد عن مسلكهم الوخيم وعاقبتهم السيئة في الدنيا والآخرة.

4. الإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل وقلب المتلقي، وذلك من خلال أحداث بعض القصص وما فيها من حوار هادف مقنع، كما أن تكرار هذا الإقناع وذلك التأثير لهذه الحقائق في قصص متعددة أوفي قصة واحدة تعرض بأكثر من قالب أو من زاوية، يسهم في تمكين هذه الحقائق في العقل والوجدان، كما يسهم في استخلاص دروس وعبر جديدة منها في كل عرض جديد.

5. الترغيب في التأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمن الطائع، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحد والعاصي.

6. بيان أن وسائل الدعوة إلى الله عند الأنبياء موحدة، كما أن استقبال أقوامهم لدعوتهم متشابهة.
7. بيان الأصل المشترك بين رسالة محمد ع ورسالة إبراهيم ن بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة؛ وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان. فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- قال تعالى: [إِنَّ

هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى] [الأعلى: 18 - 19].

8 - تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع من هذا التصديق، كالذي جاء في سورة الحجر قال تعالى: [نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ] [الحجر: 49-50]. ذ.

فتصديقاً لهذا وذلك جاءت القصة على النحو التالي:

[فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٩﴾ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٧٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ] . [الحجر : 61 - 66] .

وفي هذه القصة تبدو (الرحمة) في جانب لوط، ويبدو (العذاب الأليم) في جانب قومه المهلكين .

9. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم ﷺ، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وذلك من خلال إسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير! ولما كان هذا موضوعاً خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى .

10. وللقصة القرآنية أهداف أخرى متفرقة. منها: بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم. وقصة مولد عيسى. وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءاً وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقد أحياه الله بعد موته مائة عام. وبيان الفرق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة. كقصة موسى مع العبد الصالح.

إلى آخر هذه الأغراض الوعظية، التي كان يساق لها القصص فيفي بمغزاهها⁽¹⁾.

ولقد ذكر أبو اسحق النيسابوري المعروف بالثعلبي (427هـ) خمسة أهداف لقصص

الأنبياء في القرآن الكريم، فقال - رحمه الله-:

" قالت الحكماء: إن الله -تعالى- قصَّ على المصطفى ﷺ أخبار الماضين من الأنبياء والأمم الخالية لخمسة أمور، أي حكم:

الحكمة الأولى منها: أنه إظهار لنبوته ﷺ هو دلالة على رسالته وذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الأخبار، ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل ﷺ ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ما مضى من القرون وسير الأنبياء الماضين

1- انظر النقاط (6-10) قطب. سيد إبراهيم (ت:1387هـ-1967م) التصوير الفني في القرآن (جزء واحد) دار الشروق. ط8: 1403هـ - 1983م. (ص:149-155).

والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلاً موفقاً صدق بما يوحي الله إليه، وإخباره إياه بذلك فأمن به، وصدقه، وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته، ومن كان منهم عدواً معانداً حسده وجحده وأنكر ما جاء به، وقال كما أخبره الله - تعالى -:

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الفرقان:5]

وقال الله تعالى تكذيباً لهم وتصديقاً للنبي ﷺ [قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا] [الفرقان: 6].

والحكمة الثانية: أنه إنما قصّ عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم، ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء لمخالفتها، واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب، فتمم الله له بذلك معاني الأخلاق، فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى:

[وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ] [القلم: 4] .

والحكمة الثالثة: أنه إنما قصّ عليه القصص تثبيتاً له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والأولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المنأولين في تفسير قوله تعالى: [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ...] [لقمان:20].

إن النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة تضعيف الصنائع. قال الله تعالى:

[... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...] [البقرة: 185].

وقال تعالى: [... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...] [الحج: 78] وقال تعالى: [

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخَفَّفَ عَنْكُمُ ۖ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا] [النساء: 28].

فلما قصّ الله - تعالى - هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته، وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحداً من الأنبياء والأمم، فوصل قيام ليله بنهاره، وصيامه بقيامه، لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء فقيل: "يا رسول الله أليس

قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: أفلا أكون عبدا شكورا⁽¹⁾، ثم افتخر U فقال: " بعثت بالحنفية السمحة"⁽²⁾.

والحكمة الرابعة: أنه إنما قص الله تعالى عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم، والأعداء وعقابهم، ثم ذكر في غير موضع تحذيره إياهم عن صنع الأعداء وحثهم على صنع الأولياء فقال- تعالى-: [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِينَ] [يوسف: 7] .

وقال: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...] . [يوسف: 111].

وقال: [...وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ] [المائدة: 46] ونحوها من الآيات، وكان الشبلي⁽³⁾ - رحمه الله تعالى - يقول في هذه الآيات: اشتغل العام بذكر القصص، واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص.

والحكمة الخامسة: أنه قص عليه أخبار الأنبياء والأولياء الماضين إحياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم U في إبقاء الثناء الحسن فقال: [وَأَجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] . [الشعراء: 84] وللناس أحاديث يقال: ما من ميت إلا والذكر يحييه، وقال: ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر⁽⁴⁾.

1- رواه البخاري. **الجامع الصحيح**. كتاب تفسير القرآن، باب (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر...) برقم(4837) (52/3).

2- أخرجه الإمام أحمد. أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني (ت:241هـ) **مسند الإمام احمد بن حنبل**(50مج)الحديث برقم:(22291) مؤسسة الرسالة (بيروت)ط1: 1421هـ-2001م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط (624/36).

3- الشبلي. أبو بكر جعفر بن يونس(ت:343 هـ)، ويقال: جعفر بن دلف، ويقال دلف بن جدر. أصله من قرية شبليّة. ولد بسامراء وتوفي ببغداد. انظر. الذهبي. أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت:748هـ) **سير أعلام النبلاء**(17مج) مؤسسة الرسالة (بيروت)ط1: 1403هـ-1983م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط +إبراهيم الزبيق (367-369) وانظر. الأصفهاني. أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت:425هـ) **حلية الأولياء** (17مج) دار الفكر(بيروت) (374/10) وانظر. البغدادي. أبو بكر احمد بن علي (ت:463هـ) **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** (22مج)دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1417هـ-1997م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (391-398).

4- الثعلبي. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري(ت:427هـ) **عرائس المجالس**(جزء واحد) المكتبة الثقافية (بيروت) (بلاط) (ص:2-3).

وأما الدكتور صلاح الخالدي فقد حصر هذه الأهداف في ثلاثة. قال :
" أشار القرآن - أثناء حديثه عن القصص - إلى ثلاثة أهداف من ذكره لتلك القصص، ودعانا
إلى أن نلتفت إليها، وأن نحققها ونحن نقرأ تلك القصص، ونتدبرها ونتعامل معها.

أما الهدف الأول: **شحن العقول والأفكار**: قال تعالى: [...فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
[الأعراف: 176].

إن سماع قصص القرآن والوقوف أمامه وتدبره، يقود إلى التفكير، والتفكير عملية عقلية، يعمل
بها الإنسان فكره، ويشغل عقله فيقف على مواطن العظة والعبرة.
إن القرآن الكريم يريد منا أن نتفكر ونتعظ، وهو يدعونا في آيات كثيرة إلى التفكير والاعتاظ في
قوله تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ
[سبأ: 46].

إن التفكير واجب قرآني، وفريضة إسلامية، وضرورة حياتية. وإن الذين لا يقومون بهذا
الواجب، ويعطلون هذه الفريضة، يهدرون هذه النعمة الربانية التي منحها لهم ربهم سبحانه،
ويضيعون هذه الطاقة الهائلة التي وهبها لهم.
التفكير والتعقل والاعتاظ ثمرات من ثمار قراءة قصص السابقين في القرآن، ونتيجة من نتائج
سماع قصص القرآن، وهدف رفيع يجب أن يهدف إليه كل من قرأ قصص القرآن، أو سمعه، أو
قصه على السامعين.

قال تعالى: [فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْعُرُ
مُعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]
[الحج: 45-46].

وقال تعالى: [وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْدِي أَمْشُوا فَتَعْلَمُونَ أَنَّ
[الصافات: 137-138].

ويلاحظ أن الآيتين الأخيرتين، أوردهما القرآن، في التعقيب على قصة قوم لوط في سورة
الصافات. وهو يخاطب فيهما قريشاً، ويذكرهم بأنهم يمرون على قرى قوم لوط أثناء تجارتهم
إلى الشام، في الصباح وفي المساء. ويذمهم لأنهم لم يُعملوا عقولهم، ولم يُدبروا أفكارهم، أو

يجلبوا نظراتهم، فيما جرى لقوم لوط، فيقودهم هذا إلى الإيمان بالله، وترك كل ما يغضبه، ويكون سبباً في عذابه.

الهدف الثاني: تثبيت الفؤاد.

قال تعالى: [وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود:120].

تثبيت الفؤاد على الحق، واستعلاؤه بالحق على كل قوى الباطل، وإيثاره ما عند الله، ويقينه بوعد الله، وبقاؤه مع جنود الله، ومواجهته لأعداء الله، واستمراره على هذا النهج حتى يلقى الله.

إن الخطاب في هذه الآية شامل للمسلمين أينما كانوا، وموجه لكل مسلم في كل زمان ومكان. ومسلمو هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى تحقيق هذا الهدف القرآني من قصصه، ونحن أحوج ما نكون إلى أن نثبت بقصص القرآن أفئدتنا، ونحقق الطمأنينة لقلوبنا، ونرسخ على طريق الحق مواقعنا، ونثبت عليها أقدامنا.

الهدف الثالث: عبرة لأولي الألباب.

قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] [يوسف:111].

وهذه هي الآية الأخيرة في سورة يوسف، وكأنها تدعونا إلى ملاحظة الهدف من قصة يوسف التي ذكرت في السورة كاملة.

وقد مرت بنا من قبل الآية التي بينت منهج القصص القرآني في بداية السورة نفسها وهي قوله تعالى: [حُنُّ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ] [يوسف:3].

وعندما ننظر في الآيتين، نقف على لفظة لطيفة:

آية في مطلع قصة يوسف ۝ تبين لنا مصدر قصص القرآن، وتصفه بأنه أحسن القصص، وتعرفنا على المنهج القرآني البديع في تلقي هذا القصص وأخذه وتدبره والتعامل معه.

وآية في آخر السورة تشير إلى الهدف من إيراد هذا القصص في القرآن، وكأنها تدعونا إلى أن نوجد فينا هذا الهدف، فلا نجعل القصص هدفاً بحد ذاته. آية في بداية القصة تعرف على النهج، وآية في نهاية القصة تحدد الهدف منها. ويا ليت قومي يعلمون!"⁽¹⁾.

والملاحظ أن هذه الأهداف للقصص القرآني التي ذكرها الدكتور صلاح الخالدي، أكثر ارتباطاً وصلةً من غيرها بأهداف وغايات القصص القرآني؛ ذلك أنه ذكرها مشفوعةً بدليلها القرآني الذي جاء في فواصل الآيات بعد إيرادها القصص القرآني، فصلة الأهداف التي ذكرها بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم أقوى من غيرها وإن كان بعضها قد دخل في النقاط السابقة التي قد أوردها الباحث، إلا أن الفرق أن من ذكر هذه الأهداف لم يذكر تأصيلها القرآني، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: أحوال القصص القرآني⁽²⁾:

الحالة الأولى: غياب الماضي:

وتتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل، ولم يكن لعلم محمد ع بها من سبيل. منها قصة نوح ۷ التي قال الله فيها: [تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِ الْمُنْذَرِ ۗ إِيَّاكَ كُنْتُ تَعَلِّمَهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا...][هود:49].

الحالة الثانية: غياب الحاضر:

أما غياب الحاضر فنريد به ما يتصل بالله تعالى والجن والجنة والنار ونحو ذلك، مما لم يكن للرسول ع سبيل إلى رؤيته ولا العلم به، فضلاً عن أن يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح، الذي أيده ما جاء به الأنبياء وكتبهم عليهم الصلاة والسلام. ومنه أيضاً ما فضح الله به المنافقين في عصر الرسول ع مما كان قائماً بهم فخفي أمره عليه كقوله: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي

1- الخالدي. صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن (جزء واحد) دار القلم (دمشق) ط4: 1425هـ- 2004م (ص:26-29)، وانظر. الخالدي. د. صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث(4مج) دار القلم (دمشق) ط1: 1491هـ- 1998م (37-32/1)، والشعراوي. محمد متولي. المنتخب من تفسير القرآن الكريم(3مج) دار النصر (بيروت) (بلاط) ط(122/2).

2- انظر هذه الحالات. آل نوفل. حمدي بن محمد نور الدين، قصص القرآن (جزء واحد) مكتبة الصفا- مكتبة المورد (القاهرة) ط1: 1423هـ- 2002م (ص:13-19) بتصرف، والخالدي. مع قصص السابقين في القرآن (ص:31-32).

قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ [البقرة: 204-205].

ومن غيب الحاضر أو الماضي ما جاء في طي القرآن من حقائق ومنافع ومبادئ لم
يكشفها إلا العلم الحديث.

الحالة الثالثة: غيب المستقبل:

أما غيب المستقبل فنمثل له بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: ما جاء في معرض التحدي بالقرآن، من قوله سبحانه وتعالى: [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا

وَلَنْ تَفْعَلُوا] [البقرة: 24] وقوله: [قُلْ لِيَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا

بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] [الإسراء:

88]، فالذي يظهر من هاتين الآيتين هو عدم قدرة المخاطبين من الثقليين على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن، وهذا التأكيد على عدم القدرة على الإتيان بمثله قد تناول المستقبل، والمستقبل غيب لا
يملكه أحد، فنبوءة القرآن تحققت وما زالت، حيث انقرض الجيل المخاطب به دون أن يستطيعوا
معارضته، ولا حتى معارضة أقصر سورة منه، وهذا العجز وعدم الاستطاعة سار إلى يومنا
هذا، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المثال الثاني: ما جاء في التنبؤ بمستقبل الإسلام ونجاحه نجاحاً باهراً وذلك في قوله تعالى: [

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ

فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ] [الرعد: 17] وقوله: [...ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] [إبراهيم: 24-25]، وقوله: [إِنَّا

خَنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] [الحجر: 9].

لقد كتب الله تعالى من خلال هذه الآيات للمسلمين في مكة، وهم قليل مستضعفون
يخافون أن يتخطفهم الناس، لينصرون الله الإسلام ويظهره، ويحفظ كتابه ويخلده.

نعم إن الله - سبحانه وتعالى - يقطع العهد على نفسه بلسان عربي مبين، وبلغته واثقة والإسلام يومئذ في مكة مدفوع مضطهد، والمسلمون مضطهدون مستضعفون في الأرض، وليس هناك من بارقة أمل تدع النفوس مطمئنة بنجاح هذا الدين.

وفي خضم هذا البحر المتلاطم بأمواج الحيرة والتردد العاتية تأتي هذه النبوءات الإلهية اليقينية بنصر الدين وحفظ كتابه المبين.

ومما يؤيد صدق هذه النبوءات أن الإسلام لاقى من القواصم ما كان بعضها كافياً لمحوه والذهاب به، ولكنه بقي - والحمد لله - ثابتاً يطاول شم الجبال الرواسي، ولم تتل منه كل هذه المحاولات والحمد لله رب العالمين.

المثال الثالث: مستقبل اليهود:

لقد أكد الله - سبحانه وتعالى - على وجه التأييد ذلة يهود ومسكنتهم إضافة إلى غضب الله عليهم. قال تعالى: [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِعُضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ...] [آل عمران: 111-112]

فإنه - سبحانه وتعالى - يخبرنا بهذا المستقبل المظلم الأسود لليهود، فهذه الصفات ملازمة لهم لا تنفك عنهم، فالذلة التي ضربها الله عليهم تماماً كما يضرب الحجر على السفينة، فهم لا يستطيعون الفكك إلا إذا دخلوا في عهد من الله أو عهد من الناس. ثم هذه المسكنة الأخرى التي ضربت عليهم - وهي التي تعني خوف الفقر - قد ضربت عليهم أيضاً، فهم بذلك أشد الناس شعوراً بالخوف من الفقر مما جعلهم أشد خلق الله طمعاً وشرهاً في جمع المال والدنيا، فهم لا يعرفون القناعة ولا يقفون عند حد أبداً وإن أغرقهم المال إلى أم رؤوسهم، فهم بذلك لا يتورعون عن تملك هذا المال بأي وسيلة كانت، مع كونهم يملكون ثروة ضخمة، وآلة إعلامية ودعائية تنددن لهم ليل نهار، وصباح مساء، حتى أصبحت سياسة الغدر عندهم، والقتل والتدمير لكل مناحي الحياة في بلادنا فلسطين سياسة مشروعة ومقبولة لدى قوى الكفر والظلم المنتفذة في سياسات العالم اليوم.

ثم اقرأ في شأن هذه الطائفة قول - الله تعالى -: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ...] [الأعراف: 167]. وهذا تسجيل آخر لعبودية هؤلاء وذلتهنم إلى الأبد.

الخلاصة:

والذي يظهر للباحث - والله أعلم - أن المتأمل فيما تعارف عليه أهل العلم والأدب أن القصة لون خاص من الأخبار ذو طبيعة خاصة، وعلى ذلك فكل قصة خبر، وليس كل خبر

قصة-كما تجعل العرب حكاية كل خبر قصة- فما حدثنا الله-تعالى- به عن خلق السماوات والأرض وخلق الملائكة والجن أخبار، ولكنها ليست بقصص، وما حدثنا به عن أسماء رسله وأنبيائه وأسماء آبائهم أخبار، وليست بقصص، أما أخبار الرسل مع أقوامهم، والصراع بين الأخيار والفجار فهو قصص كما أنه أخبار.

المبحث الثالث: مقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص ومميزات القصص القرآني:

مما لا شك فيه أن القصص القرآني ليس فيه ما في غيره من القصص الذي يحوي صوراً ومواقف كثيرة لا يراد منها إلا استثارة العواطف المريضة، واسترضاء الميول المنحرفة في الإنسان وتعلقه بها، واقتياده منها، بل إن القصص القرآني حرب على هذه العواطف المريضة، وتلك الميول المنحرفة، إنه ينظر إلى الإنسان على أنه أكرم مخلوق وأن هذا المخلوق الكريم على الله إنما يقاد من داخله، ولا يقاد من خارجه كما تقاد الدابة، هذه هي نظرة القصص القرآني إلى الإنسان ذلك لأنه كما وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ

الْحَقُّ] [آل عمران: 62] وما للحق أن يلبس الباطل، أو يسلك مسالكه.

ولأن القصص القرآني قصص رباني مصدره الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد امتاز بالمزايا والخصائص الآتية:

1. أنه حق : لقوله تعالى: [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [آل عمران: 62].

فهذه صفة قصص القرآن. والحق معناه الصدق والصحة والصواب، من حيث المعنى والمضمون والمحتوى، فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق، سواء كان موضوعه عقيدة أو دعوة، أو تشريعاً أو توجيهاً.

وهذه الآية من سورة آل عمران، إنما جاءت في ختام الآيات التي سردت قصة عيسى (ص)، تكذيباً للنصارى، وتفنيداً لمزاعمهم حول عيسى (ص)، وجاءت كذلك تقريراً لأن كل ما خالف وناقض قصص القرآن الحق الصادق، فهو كذب وزور وباطل (1).

والقصص القرآني حق كذلك، لأنه يروي لنا أخبار الماضين وقصصهم وتلك الأحداث التي وقعت بكل صدق ودون تصرف ومن غير زيادة أو نقصان.

1- الخالدي. القصص القرآني (1/30-31) بتصرف يسير.

وهو حق أيضا لأن مصادره يقينية، فهي إما من كتاب الله أو مما صح من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

"وفي كل الحالات لن نجد فيه إلا الصدق والواقعية، ولن نجد ما وجدناه في صياغة (هوميروس) لإلياذته وأوديسسته من الأساطير، ولن نجد كذلك ما وجدناه عند كتاب الرواية والأفصوة والتمثيلية في أوروبا الذين لم يكونوا يتوخون الوقائع الحقيقية في فنهم الطليق"⁽¹⁾.

2. أحسن القصص: لقوله تعالى: [حُنْ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ...] [يوسف:3].

" وهذا يتناول كل ما قصه الله تعالى في كتابه، فهو أحسن القصص و(أحسن القصص) قيل: إنه مصدر، وقيل: إنه مفعول به، وعلى القول الأول يكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، كما يقال: نكلمك أحسن التكليم، ونبين لك أحسن البيان، وعلى القول الثاني يكون المعنى: نحن نقص عليك ما يقص، أي أحسن الأخبار المقصوصات، ويدل على هذا المعنى أنه هو المراد. قوله تعالى في قصة موسى ﷺ: [... فَلَمَّا جَاءَهُ رُوقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ...].

[القصص:25] وقوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] [يوسف:111]"⁽²⁾.

وقد رجح شيخ الإسلام - بعد أن ذكر القولين - " أن القصص في قوله تعالى: [حُنْ

نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ...] [يوسف:3] مفعول به، وإن كان أصله مصدراً ولكن غلب استعماله في المفعول به"⁽³⁾.

"وعلى هذا فإن الآية الكريمة وصفت قصص القرآن بأنه أحسن القصص، أي أحسن من القصص البشري، مهما كان أسلوب القاص من البشر، ومهما كانت بلاغته وموهبته. وحسن القصص القرآني يتجلى في: الحسن الفني، فهو معروض في القرآن الكريم بأسلوب التصوير الفني، والجمال البياني المؤثر المعجز. ويتجلى في الحسن الموضوعي، حيث يعرض لنا أخباراً أو معلومات عن ذلك التاريخ الماضي وأحداثه.

1- قطب. التصوير الفني في القرآن الكريم (ص:256).

2- الخالدي. القصص القرآني(1/29).

3- ابن تيمية. تقي الدين أحمد الحرّاني (ت:728هـ) جواب أهل العلم والإيمان (جزء واحد) دار القاسم (الرياض) ط1: 1417هـ-1996م. تحقيق: عبد العزيز بن فتحى بن السيد ندى (ص:35-37)، وانظر. الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت:311هـ) معاني القرآن وإعرابه (5مج) عالم الكتب(بيروت) ط1: 1408هـ-1988م. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي (88/3).

ويتجلى في الحسن الأخلاقي، لأن كل ما فيه حق وصدق، لا كذب فيه ولا تصرف بزيادة أو نقصان⁽¹⁾.

3. تنوع طريقة العرض⁽²⁾:

وقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للإقتداء في عرض القصة، على النحو التالي:

- أ- مرة يذكر ملخصاً للقصة يسبقها، ثم يعرض التفاصيل من بدئها إلى نهايتها. وذلك كطريقة قصة أهل الكهف. فكان هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفاصيل.
- ب- ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها. وذلك كقصة موسى في سورة القصص. فكان هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة كانت تمهيداً مشوقاً لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة.
- ت- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يغني. مثل قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجأتها معروفة وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدد وملكة سبأ.

ث- ومرة يحيل القصة تمثيلية. فيذكر من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض فقط؛ ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها. وذلك كالمشهد من قصة إبراهيم وإسماعيل في فصل التصوير: [وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...]. [البقرة:127].

هذه إشارة البدء. أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل: [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] [البقرة 127]. إلى نهاية المشهد الطويل. ولهذا نظائره في كثير من قصص القرآن.

4. تنوع طريقة المفاجأة:

- أ- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشفه لهم معا في آن واحد. مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف.
- ب- ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية؛ وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون من تصرفاتهم عالمين. وأغلب ما يكون ذلك في معرض

1- الخالدي. القصص القرآني (29/1)، وانظر. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. المنهج الحركي في ظلال القرآن (جزء واحد) دار المنارة (جدة) ط1406هـ-1986م (ص:428-434)، وانظر. الخولي. البيه. تذكرة الدعاة (جزء واحد) مكتبة دار التراث (القاهرة) ط:8: 1408هـ-1987م. (ص:45).

2- انظر النقاط (3-6) قطب. التصوير الفني في القرآن الكريم (ص:180-200) بتصرف.

السخرية، ليشارك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين!

وقد شاهدنا مثلاً من ذلك في قصة أصحاب الجنة.

ت- ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة. مثال ذلك قصة عرش ملكة سبأ الذي جاء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم. فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً. ولكن مفاجأة الصرح المُمَرَّد من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معاً.

ث- ومرة يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته: وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين اتخذت من دون أهلها حجاباً فتفاجأ هناك بالروح الأمين بهيئة رجل فتقول: [قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا] [مريم: 18]. نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه (الروح) ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها: [قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا] [مريم: 19]. وقد فوجئنا كذلك معها [فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلِيَّتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا] [مريم: 23] [فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا] [مريم: 24]... الخ.

5. الفجوات بين المشهد والمشهد:

هذه الفجوات التي يتركها تقسيم المشاهد وقص المناظر، مما يؤديه في المسرح إنزال الستار وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة؛ بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق.

وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب؛ ويمكن أن نلاحظ في

ما عرضناه من القصص قبلاً، ومثال ذلك نجده في قصة يوسف ٧.

6. التصوير الفني في القرآن. وله ثلاثة ألوان:

اللون الأول: قوة العرض والإحياء، واللون الثاني: تصوير العواطف والانفعالات، واللون الثالث: رسم الشخصيات في القصة.

هذه هي أهم وأبرز الخصائص والميزات الفنية للقصة القرآنية وفي ما يلي سنعرض لأهم الخصائص والسمات للقصة في الأدب الإنساني .

المطلب الثاني: خصائص وسمات القصص الإنساني:

- لقد ذكر الدكتور محمد سليمان الأشقر - في كتابه: معجم العلوم اللغوية - خصائص القصة والأسلوب الذي يميزها كلون من الألوان الأدبية. فقال:
- " وقد حدد بعض الباحثين هذه الخصائص في النقاط التالية :
1. الصفة العامة لخطة الرواية، هي الاطراد والتسلسل بحيث يشعر القارئ أنه مسوق دائماً إلى غاية، فهو في ترقب وشوق إلى النهاية.
 2. تكون القصة منسقةً تنسيقاً منطقياً وتوجز وتحذف منها التفاصيل التافهة.
 3. تكون القصة ذات مغزى رئيس يفهم من السياق بطريقة غير مباشرة.
 4. يجب أن تكون العبارات سهلة واضحة، لأن القارئ معني بمجرى حوادث القصة.
 5. تنوع العبارة بين الدقة والقوة حسب المواقف والشخصيات.
 6. تنوع الأسلوب بين القصص والوصف والحوار.
 7. من مظاهر الأسلوب القصصي المبالغة أحياناً للتنبيه إلى النقاط الهامة وكذلك المفاجآت والرمز ليفتح المجال للخيال.
 8. قد يدخل الحب كعنصر ثانوي في القصص لقوته، ولأنه عاطفة مشتركة بين البشر"⁽¹⁾.
 9. والقصة حوادث يخرعها الخيال، وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع، وإنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه⁽²⁾، وغالباً ما كانت أخباراً متفرقة أو متناقضة، يعوزها الاتساق والربط بين أحداثها وشخصياتها، وترتيب هذه الأحداث⁽³⁾.
 10. "القصص في الأدب الإنساني كمية أكثر منه كيفية، فهذا يتجلى لنا في تراثنا القصصي الضخم الذي زخرت به المجاميع والمجلدات الكبرى من مثل: (العقد الفريد)، و(الأغاني)، و(عرائس المجالس)، و(المستطرف في كل فن مستظرف)، وغيرها"⁽⁴⁾.

1- الأشقر. د. محمد سليمان. معجم العلوم اللغوية (ص:320) نقلاً عن: الأشقر. عمر سليمان عيد الله. صحيح القصص

النبوي (جزء واحد) دار النفائس(عمان)ط2 : 1418هـ - 1997م. (ص:12-13).

2- نجم. محمد يوسف. فن القصة (جزء واحد) دار بيروت (بيروت) ط2: 1956م (ص:10).

3- هلال. محمد غنيمي. النقد في الأدب الحديث. (جزء واحد) دار نهضة مصر القاهرة (بلاط: 1996م. (ص:492).

4- الفاخوري. حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم (/ 596) دار الجبل (بيروت) ط2: 1995م .

وبالجملة فإن القصة الأدبية في القديم والحديث " بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها يقوم على تشويه الحقائق، وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ. ونظرة إلى كتاب القصة الذين اشتهروا نجد أن الشذوذ والانحلال الخلقي والإلحاد والتهريج كان الطابع العام لأكثرهم، هذا بالنسبة للكتاب العالميين للقصة؛ أما الكتاب العرب فهم بين مترجم ترجمة حرفية، أو ناقل للفكرة؛ ليضعها في أسلوبه وقالب من الكلمات العربية، وقليل أولئك الذين ساروا بالقصة مسارها الصحيح نهجاً وموضوعاً مستوحين ذلك كله من بيئتنا وقيمنا"⁽¹⁾.

الخلاصة:

من خلال هذه المقارنة بين القصص القرآني والقصص الإنساني نستطيع أن نخلص إلى ما يلي:

1. منهج القرآن في قصصه:

القرآن حين يعرض قصص الأنبياء وغيرهم نراه " يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه لكنه يعرضها عرضاً أدبياً، ويسوقها سوقاً عاطفياً، يبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائياً يستثير منها العاطفة والوجدان"⁽²⁾، ويخرج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية، ومن هذا الاتجاه الذي يقصده القرآن " لا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها، وأنه لا يتسلسل في إيراد حدوثها مرتبة منظمة، وأنه يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر، وذلك أن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحينما يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطباً بعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى خاتمتها. .كما نراه في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن في هذا الجزء ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن إلى القصة تلميحاً يستغني به عن الإطالة، اعتماداً على أن القصة معروفة مشهورة.

أرأيت الخطيب حين يستشهد بقصة من القصص أترأه يعمدُ إلى القصة كلها فيسردها؟ أم أنه يعمدُ أحياناً إلى جزء من القصة يورده في خطبته، وأحياناً يكتفي بالإيماء إلى القصة

1- عباس. فضل حسن، القصص القرآني إبحائه ونفحاته. (جزء واحد) دار الفرقان (عمان) ط: 1: 1407هـ - 1987م (ص: 12).

2- خلف الله. محمد احمد، الفن القصصي في القرآن (ص: 122). نقلاً عن: طبارة . مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص: 25).

والإشارة إليها من غير أن يكون في مثل هذا العرض نقص في الخطبة أو اعتراض على الخطيب" (1).

2. الأسلوب في قصص الأنبياء:

وظاهرة بارزة تلفت النظر في أسلوب القرآن في قصصه وغيرها، هو صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس وذلك من تأثير بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه فإنك " لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، ولا أشد تلازماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالنقد في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعمتها وصفاتها" (2) ويقول الباقلاني: "إن أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة... فلم يوجد ولن يوجد في العربية أثر يجاريه في بلاغته بحيث يحفظ جمال الأسلوب مع هذا المقدار من الطول، والاشتمال على الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص" (3).

ومما يختص به أسلوب القرآن ذلك الإيقاع الموسيقي الذي ينجم عن ترابط الكلمات بشكل خاص يكون نغماً معيناً رتياً من مجموعة مقاطع صوتية، كما ينجم من الفاصلة واطرادها أو تغييرها في نسق معين، فالفاصلة هي مفتاح الوزن القرآني وموسيقى نظمه. هذه البلاغة القرآنية وما تحمل من معاني الهداية هي التي أخذت بألباب العرب في بدء الإسلام فكانت أكبر حافز لهم للهداية وهي التي شهد الكتاب والشعراء في كافة العصور بتفوقها واستحالة مجاراتها.

3. السر وراء التكرار في قصص الأنبياء:

وما يلفت النظر في قصص الأنبياء هو أن معاني القصة ترد مكررة في مواضع شتى من سور القرآن، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسبب ذلك "إن المعاني الأدبية والفنية هي مقصود القرآن من القصص، وهي الأمور التي يبحث عنها، وهي الأمور التي تجعل الحادثة الواحدة تصور بصور مختلفة ويعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات" (4) "فليس المقصود من القصص سرد المواد التاريخية بل المواضع

1- البديوي. احمد احمد، من بلاغة القرآن (بلاط). نقلاً عن: المصدر السابق.

2- الخطابي. بيان إعجاز القرآن (ص:28). نقلاً عن: طيّارة. مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص:26).

3- الباقلاني. أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن (ص:60-67). نقلاً عن: المصدر السابق.

4- خلف الله. الفن القصصي في القرآن. نقلاً عن: المصدر نفسه.

والعبر والتحذير من معصية الله والبشارة برضوان الله، وهذه الأمور تختلف في موطن عنها في آخر، ومن هنا كان الاختلاف، لأن اختلاف المقاصد يدفع من غير شك إلى اختلاف الصور الأدبية.

فتارة يجيء أسلوبه في موطن عن طريق الإطناب وفي موطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من موطن لآخر ومع التنوع بالعبارات البليغة والألفاظ العذبة لتتجلى بلاغته وفنونه الرفيعة في التعبير. هذا التكرار البليغ برهان على كونه حياً إلهياً يستشعره كل مطلع على أسرار فصاحة اللغة العربية. فالشاعر أو الكاتب إذا كرر قولاً لا يكون كلامه الثاني بدرجة الأول في الفصاحة بل تظهر عليه علامات الضعف والتكلف والتفكك، أما أسلوب القرآن فقد بلغ الغاية في الفصاحة في جميع ما كرر من قصص وسواها.

ولا بد من الإشارة إلى أن في التكرار أثراً ملموساً في التأثير على الجماعات والأفراد فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً ينتهي به إلى قبوله وهذه حقيقة ساطعة⁽¹⁾.

الخلاصة :

في ختام هذا المبحث أستطيع أن أقول: إن القرآن الكريم لم ينهج منهج الإنسان في قصصه وأخباره، فهو عندما ينتقي قصص وأخبار بعض المرسلين، إنما يأخذ منها ما يلائم موقف النبي ﷺ من قومه، وما يصلح للدعوة الإسلامية في المرحلة التي تعيشها، لذا فإننا لا نكاد نجد التفصيل الموجود في القصص الإنساني موجوداً في القصص القرآني. إن القرآن الكريم لم يقصد من خلال قصصه إلى تخليد أحداث التاريخ أو تقديس الشخصيات كما في القصص اليوناني وغيره، إنما كان يرمي إلى استخلاص العظة والعبرة، وإلى توضيح سبل الهداية والرشاد، وإلى شرح أركان الإسلام ومبانيه العظام والرد على المعاندين، و تثبيت فؤاد النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم -، ومن معه من صحابته الغر الميامين.

فالقرآن الكريم إذاً يورد لنا قصص الأنبياء ويبين لنا الهدف من هذا الإيراد بقوله: [لَقَدْ

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] [يوسف: 111] كما يوجه خطابه للرسول قائلاً:

[وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود: 120].

¹ - طبارة. مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص: 26-27).

فَعِنْدَمَا نَقَفَ أَمَامَ جَمَلَةٍ: [وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ]، فَإِنِنَا نَلْمَحُ إِشَارَةَ وَاضِحَةٍ إِلَى أَنَّ
الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ جَاءَ لَنَا مِنَ التَّارِيخِ- السَّجَلِ الْحَافِلِ بِالْعَبْرِ، وَالْوَاعِظِ الصَّامِتِ لِلْبَشَرِ- بِأَحْدَاثِ
وَقَعَتْ بِالْفِعْلِ، وَذَلِكَ يَهْدَفُ الْعِظَةَ، وَالتَّبْيِينَ، وَالرَّدَّ.

الفصل الأول: التعريف بنبي الله نوح وبيان خصائصه، وعلاقته بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام. ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: نسب نوح U، وبيئته، وعمره، ووفاته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم نوح U ونسبه.

المطلب الثاني: أسرة نوح U.

المطلب الثالث: البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح U.

المطلب الرابع: عمره ووفاته.

المبحث الثاني: خصائص نوح U ومعالم شخصيته، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: خصائص نوح U.

المطلب الثاني: معالم شخصيته.

المبحث الثالث: علاقة نوح U بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين نوح وآدم - عليهما السلام -.

المطلب الثاني: بين نوح ومن بعده من الأنبياء.

المطلب الثالث: بين نوح ومن بعده من الأقوام.

الفصل الأول

التعريف بنبي الله نوح وبيان خصائصه، وعلاقته بمن قبله ومن بعده من الأنبياء

والأقوام.

المبحث الأول: نسب نوح، وبيئته، وعمره ووفاته.

المطلب الأول: اسم نوح و نسبه.

لقد ذكر كثير من الكتاب والمؤرخين نسب نوح و، وهو نسب يستند إلى الإسرائيليات، والروايات الضعيفة، ولم أقف على نص قرآني أو حديث متصل صحيح في نسب نوح و، أما ما ذكره المؤرخون فهو: نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي و بن أنوش بن شيث بن آدم⁽¹⁾.

وأمه هي: "بتنوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم"⁽²⁾. وهذا نسب ورد أيضاً في الروايات الإسرائيلية ولم يصح في حديث صحيح ولا حسن. ونوح هو اسم علم أعجمي، وليس عربياً؛ لأن العرب لم يكونوا قد وجدوا في عهده و ولم تكن اللغة العربية قد ظهرت، وهو ينصرف مع العجمة والتعريف، وكذلك كل اسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن مثل لوط، وهود⁽³⁾.

وهذا ما ذكره القرطبي رحمه الله - من جواز انصراف اسم (نوح) وذلك لأنه على ثلاثة أحرف وقد يجوز أن يشتق من ناح ينوح⁽⁴⁾.

1- انظر. البخاري. أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت:256هـ) التاريخ الكبير (9مج) دار الكتب العلمية (بيروت) (بلاط: 1407هـ-1986م (6/1)). والطبري. أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت) 1417هـ - 1997م (108/1-111)، والمسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار القلم (بيروت) ط1: 1408هـ - 1989م. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي (1/38-41)، وابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1412هـ - 1992م. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور (1/239)، وابن الأثير. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت:630هـ) الكامل في التاريخ (10مج) دار الكتب = العلمية (بيروت) ط1: 1403هـ-1983م. مراجعة وتعليق: نخبة من العلماء (1/36)، وابن كثير. أبو الفداء إسماعيل (ت:774هـ) البداية والنهاية، دار الفكر (بيروت) (بلاط: 1402هـ - 1982م (100/1-101)).

2- الطبري. تاريخ الطبري (108/1).

3- انظر. ابن منظور. لسان العرب (2/628).

4- انظر. القرطبي. أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت:671هـ) الجامع لأحكام القرآن (22مج)، دار الفكر (بيروت) ط2: 1372هـ - 1952م. تصحيح: احمد عبد العليم البردوني، وتحقيق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش (4/62)، والنحاس. أبو جعفر أحمد بن إسماعيل. إعراب القرآن (5مج)، عالم الكتب ومكتبة النهضة. ط1. تحقيق: زهير غازي زاهر (1/72).

وما نريد أن نثبت هنا أن ذكر "نسب نوح U من الأمور التي لا يقطع بثبوتها"⁽¹⁾، فلم يثبت في الأحاديث الصحيحة شيء عن أسماء آباء نوح، ولا عن سلسلة النسب بينه وبين أبيه آدم، فلا نخوض في ذلك كما فعل الذين ذهبوا إلى الإسرائيليات، وما ذكرته من نسبه وإن كان من الإسرائيليات لما ذكرته للعلم بما أوردته كتب التاريخ ولا أرى ضرورة الوقوف على تفاصيله ودقة الضبط له وإن كانت كتب التواريخ قد اختلفت في ضبطه اختلافاً عظيماً. كذلك لم يثبت شيء في تحديد المكان الذي كان يقيم فيه قوم نوح U، والذي عاش فيه نوح U، ولا عن عمره الذي قضاها قبل أن يبعثه الله نبياً رسولاً.

كذلك لم يثبت شيء في تحديد أسماء أولاده أو عددهم، أو زوجته، أو اسم والديه. كل هذه الأمور من مبهمات القصص القرآني التي لم تبين في الآيات والأحاديث الصحيحة، ويجب أن نبقىها على إبهامها، وأن لا نذهب إلى الإسرائيليات والأساطير في محاولة تعيينها⁽²⁾.

المطلب الثاني: أسرة نوح U .

الفرع الأول: والدا نوح U وزوجته.

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن والدي نوح U كانا مؤمنين صالحين، بدليل دعاء نوح U لهما بالمغفرة: قال تعالى: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] [نوح:28]. فلو لم يكونا مؤمنين به لما دعا لهما بالمغفرة⁽³⁾.

أما زوجة نوح فاسمها (واعلة - كما ذكر ذلك في بعض كتب التفسير - . يقول القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] [هود:40] [وَأَهْلَكَ] أي واحمل اهلك. [إِلَّا مَن سَبَقَ] [مَن] في

1- عباس. قصص القرآن الكريم (ص:175).

2- الخالدي. القصص القرآني (157/1) بتصرف.

3- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (313/18)، والخالدي. القصص القرآني (180/1).

موضع نصب بالاستثناء. [عَلَيْهِ الْقَوْلُ] منهم أي بالهلاك؛ وهو ابنه كنعان وامرأته واعلة كانا كافرين⁽¹⁾.

"وقد اختلف في اسم زوجة نوح ٧ فمرة (واعلة) ومرة (والهة) وأخرى (واغلة) كما نقل ذلك الضحاك عن عائشة -رضي الله عنها-"⁽²⁾. وأرى أن مرد ذلك الإسرائيليّات، ولو كان الأمر تتعلق به كبير فائدة لذكرها القرآن أو نصت عليه الأحاديث الشريفة، لذلك فمن الأولى أن نضرب على الخوض فيه صفحاً.

وقد ذكر القرآن الكريم أن زوجة نوح ٧ كانت كافرة بدليل قوله تعالى: [صَرَبَ اللَّهُ

مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ] [التحریم: 10].

قال الزمخشري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "مثل الله Y حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم مع غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من ألفة نسب أو وصلة صهر، لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبتّ الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط: لمّا نافقتا وخانتا الرسولين لم يُغنِ الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتها أو يوم القيامة: [ادْخُلَا النَّارَ مَعَ] سائر [الدّٰخِلِينَ] الذين لا صلة بينهم وبين الأنبياء، أو مع داخلها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط... فإن قلت: ما كانت خيانتها؟ قلت: نفاقها وإيطانها الكفر وتظاهرها على الرسولين؛ فامرأة نوح قالت لقومه إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه⁽³⁾. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمح في

1- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (35/9)، والزحيلي. دوهبة الزحيلي، التفسير الوسيط. دار الفكر المعاصر (بيروت) دار الفكر (دمشق) ط1: 1422هـ - 2001م (2694/3).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (35/9).

3- أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. انظر. الحاكم. أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 405هـ) المستدرک علی الصحیحین (5مج) دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1411هـ - 1990م. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (538/2).

الطباع نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويُسمونه حقاً. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - (ما بغت امرأة نبي قط)⁽¹⁾.

وقد ذكر الشوكاني - رحمه الله - الإجماع على ذلك حيث قال: [فَخَانَّتَاهُمَا] أي فوقعت منهما الخيانة لهما. قال عكرمة والضحاك: بالكفر، وقيل: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط. وقيل كانت خيانتها النفاق، وقيل خانتها بالنميمة [... فَلَمْ يُغَيِّبَا عَنْهَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ...] [التحريم:10] أي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئاً من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله شيئاً من الدفع⁽²⁾.

وقد علق سيد قطب - رحمه الله - على هذه الخيانة بقوله: "والمأثور في تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط، أنها كانت خيانة في الدعوة وليست خيانة في الفاحشة . امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه؛ وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه وهي تعلم شأنهم مع ضيوفه!... فالإشارة القرآنية تعني حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص، والأشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة. إن مبدأ التبعية الفردية يراد إبرازه هنا، بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار. كما يراد أن يقال لأزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- وأزواج المؤمنين كذلك: أن عليهن أنفسهن بعد كل شيء.

فهن مسؤولات عن ذواتهن، ولن يُعفين من التبعة أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين! وها هي ذي امرأة نوح. وكذلك امرأة لوط. [كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

1- الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:538هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة) ط الأخيرة: 1392هـ - 1972م (130/4-131)، وابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي(ت:751هـ) الأمثال في القرآن الكريم(جزء واحد) دار المعرفة (بيروت). تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب (ص:262-263).

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (170/28) عن الضحاك. وأورده السيوطي في الدر المنثور(377/6) عن ابن عباس وعزاه لابن المنذر. انظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور(6مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1411هـ-1990م.

2- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد (ت:1250هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(5مج) دار إحياء التراث العربي (بيروت) (بلاط) (255/5).

صَلِحِينَ] .. [فَخَاتَتَاهُمَا] .. [فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] .. [وَقِيلَ ادْخُلَا
النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ] .

فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان. وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج
النبي! ⁽¹⁾.

" وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن ما تعلقوا به من دون الله من قرابة، أو
صهر، أو نكاح، أو صحبة ينفعهم يوم القيامة، أو يُجيرهم من عذاب الله أو يشفع لهم عند الله.
وهذا أصل ضلال بني آدم، وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله.
وهو الذي بعث الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله، ومحاربة أهله، ومعاداتهم ⁽²⁾.

الفرع الثاني: أولاده.

لقد نص القرآن الكريم على كفر أحد أبناء نوح " ن قيل: اسمه كنعان وقيل: نيام ⁽³⁾، ولم
يثبت اسمه في شرعنا فلا نلهث في ضبطه.

قال تعالى: [وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾] قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ
الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُغْرَقِينَ] [هود: 42-44].

"هذه الآيات تصف لنا المشهد الهائل المرهوب: مشهد الطوفان:

إن الهول هنا هولان. هول في الطبيعة الصامتة وهول في النفس البشرية يلتقيان:]

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ] .

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس
معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد:

1- قطب. سيد إبراهيم (ت: 1387هـ) في ظلال القرآن (6مج) دار الشروق (بيروت) ط9: 1400هـ - 1980م.
(3621/6).

2- ابن القيم. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت: 751هـ) تفسير القيم (جزء واحد) دار الكتب العلمية (بيروت)
(بلاط: 1398هـ - 1978م. جمع وتحقيق محمد أويس الندوي ومحمد حامد الفقي (ص: 496).

3- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (38-35/9).

[يَبْنِيَّ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ] .

ولكن البنوة العاقلة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل:

[قَالَ سَعَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ] .

ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير: [قَالَ لَا

عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ] .

لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واق إلا من رحم الله. وفي لحظة تتغير صفحة المشهد.

فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء:

[وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ] .

وإننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا- ونحن نتابع السياق- والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد. وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء. وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب! وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية - بين الوالد والمولود- كما يقاس بمداه في الطبيعة، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان، وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامتة وفي نفس الإنسان. وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن.

وتهدأ العاصفة، ويخيم السكون، ويُفضى الأمر، ويتمشى الاستقرار كذلك في الألفاظ

وفي إيقاعها في النفس والأذن: [وَقِيلَ يَتَّارِضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْءَ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [هود:44].

ويوجه الخطاب إلى الأرض وإلى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاها للأمر

الفاصل فتبتلع الأرض ماءها، وتكف السماء: [وَقِيلَ يَتَّارِضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْءَ أَقْلِي...]

[...وَوَغِيضَ الْمَاءِ...][ابتلعت الأرض في جوفها وغار من سطحها [...وَقُضِيَ الْأَمْرُ...]] ونفذ

القضاء [... وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط...][ورست رؤسوا استقرار على جبل الجودي [...وَقِيلَ

بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...]] وهي جملة مختصرة حاسمة معبرة عن جوها أعمق تعبير [قِيلَ]

على صيغة المجهول فلا يذكر من قال، من قبيل لف موضوعهم ومواراته [...وَقِيلَ بُعْدًا

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...] بعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمة الله فقد لعنوا، وبعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكراً!

والآن وقد هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت على الجودي، الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع [وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ] [هود:45] رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني بنجاة أهلي وإن وعدك الحق، وأنت احكم الحاكمين فلا تقضي إلا عن حكمة وتدبير.

قالها يستتجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستتجزه حكمته في الوعد والقضاء. وجاء الرد بالحقيقة التي غفل عنها. فالأهل - عند الله وفي دينه وميزانه - ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن.. جاء الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد، وفي ما يشبه التقرير والتأنيب والتأديب [قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ

مِنَ الْجَاهِلِينَ] [هود:46] إنها الحقيقة الكبيرة في هذا الدين. حقيقة العروة التي ترجع إليها الخيوط جميعاً. عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد مالا يربطه النسب والقرابة [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] فهو منبت منك وأنت منبت منه، ولو كان ابنك من صلبك، فالعروة الأولى مقطوعة، فلا رابطة بعد ذلك ولا وشيجة⁽¹⁾.

وقد ذكر المفسرون في نسب ابن نوح ثلاثة أقوال هي: أولاً: أنه ابنه من صلبه. ثانياً: أنه ابن امرأته. ثالثاً: وُلد على فراشه لغير رُشدة. (أي من الزنا). والذي يظهر أنه ابن نوح ٧ من صلبه؛ لأن القرآن نص على ذلك فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقريضة ولا يوجد قريضة.

ولقد ذكر الرازي - رحمه الله - حكاية الله تعالى عن نوح ٧ أنه نادى ابنه، قال: " وفيه

مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا في أنه كان ابناً له، وفيه أقوال:

1- قطب. في ظلال القرآن (1878/4-1880)، وانظر. الجصاص. أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت:370هـ) أحكام القرآن (5مج) دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط1: 1405هـ-1985م. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (377/4-378)، والبلتاجي. محمد الأنور أحمد. من وصايا القرآن الكريم (جزء واحد) دار التراث العربي (بيروت) ط2: 1405هـ-1985م. (ص:387/388).

القول الأول: أنه ابنه في الحقيقة، والدليل عليه انه تعالى نص عليه فقال [وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ]

ونوح أيضا نص عليه فقال [يَبْنِي] وصرف هذا اللفظ إلى أنه ربه، فأطلق عليه اسم الابن

لهذا السبب صرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وانه لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً، وهذا بعيد، فإنه ثبت أن والد رسولنا ع، ووالد إبراهيم ؑ كانا كافرين بنص القرآن، فكذلك هاهنا، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه ؑ لما قال: [...رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا]

[نوح:26] فكيف ناداه مع كفره ؟

فأجابوا عنه من وجوه:

الأول: أنه كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب نجاته.

والثاني: أنه ؑ كان يعلم انه كافر، لكنه ظن انه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل

الإيمان فصار قوله: [يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا] كالدلالة على انه طلب منه الإيمان وتؤكد هذا بقوله

[وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكٰفِرِينَ] أي تابعهم بالكفر واركب معنا.

والثالث: أن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك النداء، والذي تقدم من قوله: [إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ

الْقَوْلُ] كانت كالمجمل فعله ؑ جوز أن لا يكون هو داخلاً فيه.

القول الثاني: أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر، وقول الحسن البصري:

ويروى أن علياً ع قرأ (ونادى نوح ابنها) والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي وعروة ابن

الزبير (ابنه) بفتح الهاء يريدان (ابنها) إلا أنهما اکتفيا بالفتحة عن الألف، وقال قتادة: سألت

الحسن عنه فقال: والله ما كان ابنه فقلت: إن الله حكى عنه أنه قال (إن ابني من أهلي) وأنت

تقول: ما كان ابناً له، فقال: لم يقل إنه مني ولكنه قال: من أهلي وهذا يدل على قولي.

القول الثالث: أنه ولد على فراشه لغير رُشدة (أي من الزنا)، والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله

تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط [فَخَانَتَاهُمَا] وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء

عن هذه الفضيحة لا سيما وهو على خلاف القرآن. أما قوله تعالى: [فَخَانَتَاهُمَا] فليس فيه

أن تلك الخيانة إنما حصلت بالسبب الذي ذكروه. قيل لابن عباس -رضي الله عنهما - ما كانت

تلك الخيانة ؟ فقال: كانت امرأة نوح تقول: زوجي مجنون، وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا

نزلوا به.

ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى: [الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبِ ...] [النور: 26] وأيضا قوله تعالى: [الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] [النور: 3] وبالجمله فقد دللنا على أن الحق هو مع القول الأول⁽¹⁾.

ولقد دحض الألوسي - رحمه الله - القول الثاني والثالث. فقال: "... وعن علي τ أنه قرأ ابنها على أن ضمير التأنيث لامرأته، وفي إضافته إليها إشعار بأنه ربيبه لأن الإضافة إلى الأم مع ذكر الأب خلاف الظاهر، وإن جوزوه، ووجه بأنه نسب إليها لكونه كافرا مثلها وما يقال من أنه كان لغير رشده لقوله سبحانه: [فَخَانَتْهُمَا] فارتكاب عزيمة لا يقادر قدرها فإن الله تعالى قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بإصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين، ونسبة هذا القول إلى الحسن، ومجاهد - كما زعم الطبرسي - كذبٌ صريح⁽²⁾.

ومن غريب ما ذكر في نسب ابن نوح u ما ذكره الشيخ عبد الوهاب النجار - رحمه الله تعالى - حيث أنه لا يقول بعصمة نساء الأنبياء عن اقتراح جريمة الزنا، مع إقراره بعدم اقتراح زوجة نوح u هذه الجريمة لا هي ولا غيرها من زوجات الأنبياء. وقد ردَّ عليه أعضاء اللجنة المكونة من عدد من المشايخ في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف للنظر في كتابه (قصص الأنبياء). وكان ردهم بعصمة زوجات الأنبياء من الزنا، وقد بسطوا أدلتهم وأوضحوا قولهم في الرد عليه ودحض شبهته⁽³⁾.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن ما ذهب إليه الشيخ عبد الوهاب النجار هو فذلكة كلام كما صرح هو بذلك حيث قال: "ومناقشتي هذه لا تعدو أن تكون كقول الأصوليين: يجوز أن يكلف الله تعالى بالمُحال ولكنه لم يقع، وبقول بعض المتكلمين: إن الكفر جائز على الأنبياء عقلاً، ولكنه غير واقع فعلاً"⁽⁴⁾.

1- الرازي. أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الطبرستاني (ت: 606هـ) التفسير الكبير (16مج)، دار الكتب العلمية (طهران) ط2: (230/17).

2- الألوسي. أبو الفضل شهاب الدين محمود. (ت: 127هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (30مج) مكتبة دار التراث (القاهرة) (بلا) ط (58/12).

3- انظر. النجار. عبد الوهاب، قصص الأنبياء (جزء واحد)، دار التراث العربي (بيروت) ط3: (ص: 41-45).

4- المصدر السابق (42).

وأنا مع القول بعصمة زوجات الأنبياء من الزنا؛ لأن العصمة إما أن تكون من الله صراحة كقوله تعالى لنبينا - عليه الصلاة والسلام - [...وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ] [المائدة:67] وإما أن تقع ضمناً كعصمة زوجات الأنبياء من الفاحشة، والله تعالى أعلم.

هذا في شأن ابن نوح ۷ الذي [... سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ...][هود:40][... فَكَانَ مِنَ

الْمُعْرِقِينَ][هود:43] أما بالنسبة لباقي أولاد نوح ۷ فقد قال الفخر الرازي -رحمه الله- عند

تفسير قوله تعالى: [وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ

الْبَاقِينَ][الصفات:76-77] " قوله: [وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ] يفيد الحصر وذلك يدل

على أن كل من سواه وسوى ذريته قد فنوا، قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة: سام وحام ويافت، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافت أبو الترك⁽¹⁾. وقد أيده في ذلك الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره⁽²⁾ وقد روى الإمام أحمد عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم)⁽³⁾.

وفي ذلك دليل على أن بعض أبناء نوح ۷ واقعون ضمن وعد الله وعهده لنوح أن

ينجيهم [... مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ]. ومن الأدلة- كذلك - على أن بعض أبناء نوح ۷ كانوا من

المؤمنين: وصية نوح لابنه والتي رواها عبد الله بن عمرو بن العاص ٢ قال: (كنا عند رسول الله ٤ ف جاء رجل من أهل البادية، عليه جبة سيجان، مزرورة بالديباج، فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس، قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: ورفع كل راع ابن راع! فأخذ رسول الله ٤ بمجامع جبته، وقال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل! ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: إن نبي الله نوحاً ۷ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: أمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: أمرك بلا إله إلا الله. فإن السماوات السبع والأراضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا

1- الرازي. التفسير الكبير(145/26).

2- انظر الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن(30مج) شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط3: 1388هـ-1968م.(66/23).

3- أخرجه احمد. مسند الإمام احمد (292/33)، والحاكم. المستدرک على الصحيحين وصححه(595/2) ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه العراقي في فيض القدير للمناوي. انظر. محمد عبد الرؤوف(ت:) (فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير(6مج) دار الفكر(بيروت) (بلاط) (83/4)، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير. انظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر(ت:911هـ) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير(2مج) دار الفكر(بيروت)ط1: 1401هـ-1981م(40/2).

اله إلا الله. ولو أن السماوات السبع، والأراضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا اله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن: الشرك، والكبر⁽¹⁾.

المطلب الثالث: البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح ٧ .

الفرع الأول: البيئة التي نشأ فيها نوح ٧ .

مما لا شك فيه أن للبيئة التي ينشأ بها الإنسان، والجو الذي يحيط به أثراً بالغاً في حياته، فسيرة الأنبياء وتاريخ العظماء يشهدان الأثر البالغ في تكوين شخصياتهم وصقل عقولهم، وتهذيب نفوسهم، وتشكيل مواهبهم. خاصة في المراحل الأولى من حياتهم. وما دام للوسط الذي يعيش فيه الإنسان هذا الأثر الكبير في التنشئة والإعداد، فلا بد إذن أن نقف قليلاً مع بعض ميزات هذا الوسط الذي نشأ فيه نوح ٧ .

إن من أهم هذه الميزات التي تميز هذا الوسط الذي نشأ وعاش فيه نوح ٧ هو: أنه ابن لأبوين مؤمنين صالحين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم عند دعاء نوح لهما، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ...] [نوح:28] أما بالنسبة لبقية أفراد أسرته فقد نص القرآن الكريم على كفر أحد أبنائه وزوجته -وقد فصلنا القول في ذلك سابقاً- أما ما تبقى منهم فقد أشار القرآن إلى إيمانهم ونجاتهم معه قال تعالى: [قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] [هود:40].

وكذلك ما جاء في وصية نوح ٧ لابنه لما حضرته الوفاة⁽²⁾. يحمل إشارة واضحة بأن بعض أبنائه. كانوا مؤمنين ناجين هذا بالنسبة للبيئة الأسرية التي نشأ وعاش فيها نوح ٧ أما بالنسبة للبيئة المجتمعية والمحلية فقد كانت كما وصفها القرآن الكريم عند قوله تعالى: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا] [نوح:23] هذه الآية تؤكد أن نوحاً ٧ لما جاء إلى قومه، وجدهم يعبدون الأصنام والأوثان، ويعدونها الآلهة، فنهاهم عن عبادتها، وأمرهم بتوحيد الله، ولكن الملام من قومه رفضوا دعوته. كيف عبد قوم نوح الأصنام؟

1- أخرجه احمد. مسند الإمام أحمد (170/2)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. انظر. محمد ناصر الدين (ت: 418هـ) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (8مج) مكتبة المعارف (بلا) ط: 1415هـ-1995م (260-259/1).

2- سبق تخريجه (ص:69).

لقد روى البخاري حديثاً موقوفاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في كيفية انحراف قوم نوح، وعبادتهم لتلك الأصنام.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما (وَدًّا) كانت لكلب. بدومة الجندل، وأما (سواع) كانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد، ثم لبني عُطَيْفَ بِالْجَوْفِ، عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان وأما (نسر) فكانت لحمير، لآل ذي الكَلَاعِ أسماءُ رجال صالحين، من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم -التي كانوا يجلسون- أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنتسخ العلم عبادت (1)).

الفرع الثاني: المكان الذي عاش فيه نوح ٧.

قال تعالى [وَقِيلَ يَا رَجُلُ أَتْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [هود:44] [وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ

[حددت هذه الجملة من الآية المكان الذي استوت واستقرت عليه سفينة نوح ٧ إنه (الجودي). قال ياقوت الحموي عن (الجودي) في (معجم البلدان): "الجودي: يأؤه مشددة. وهو جبل مطل على جزيرة ابن عمر، في الجانب الشرقي من دجلة، من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح ٧، لما نضب الماء" (2).

وجزيرة ابن عمر هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات، في شمال العراق. وجبل (الجودي) مطل على الجزيرة، وهو قريب من مدينة الموصل العراقية المعروفة، كما ذكر ذلك القرطبي -رحمه الله- في تفسيره (3). وما زال اسمه حتى الآن جبل (الجودي) وهو جبل معروف هناك.

ولقد ذكر الدكتور شوقي أبو خليل في (أطلس القرآن) مكان قوم نوح، وجبل الجودي، والعصور التي مر بها التاريخ القديم لبلاد الرافدين فقال: "كان قوم نوح في جنوب العراق، حول موقع مدينة الكوفة حالياً. والجودي: جبل قبالة جزيرة ابن عمر، عند ملتقى الحدود السورية-

1- البخاري. الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن. باب (ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق) رقم (4920) (86/3).

2- الحموي. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:626هـ) معجم البلدان. دار صادر (بيروت) (بلاط) (179/2).

3- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (9/ 41).

التركية حالياً، على الضفة الشرقية لنهر دجلة، ويرى جبل الجودي بوضوح من بلدة (عين ديوار) السورية⁽¹⁾.

ومما يذكر من الناحية التاريخية⁽²⁾ أن التوراة قد ذكرت روايتين متناقضتين للطوفان، فالرواية الأولى:

الرواية اليهودية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والرواية الثانية: الرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد والتي أخذت هذا الاسم لأنها من تأليف الكهنة في ذلك العصر. وقد نقل المهدي الفرنسي البروفيسور (موريس بوكاي) عن الأب ديفو قوله " وهذه النصوص متعددة الأصول ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث، فبين النصين توجد تناقضات صارخة، فهما حكايان للطوفان تختلف فيهما العوامل التي أدت إلى الطوفان، كما يختلف زمن وقوعه، ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة"⁽³⁾.

فعلى حسب الرواية الكهنوتية عن ركاب السفينة: جاء الأمر إلى نوح بأن يحمل معه جميع أسرته بدون استثناء- بما فيهم ابنه الكافر- وزوج من كل نوع من أنواع المخلوقات. وعلى حسب الرواية اليهودية المعدلة- وهي الموجودة في الكتاب المقدس الآن- زوج من كل حيوان طاهر ونجس، بالإضافة إلى نوح وبنيه جميعاً. ورد في العهد القديم قوله: " فدخل نوح وبنوه، وامراته، ونساء بنيه معه، إلى الفلك، من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست طاهرة، ومن الطيور، و كل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً"⁽⁴⁾.

وتقرر التوراة أن السفينة استقرت " في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال"⁽⁵⁾.

1- أبو خليل. د. شوقي، أطلس القرآن (جزء واحد) دار الفكر المعاصر (بيروت) دار الفكر (دمشق) ط1: 1423هـ-2002م (ص: 24-27) باختصار.

2- انظر هذا الموضوع. بوكاي. موريس. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (جزء واحد) دار المعارف (لبنان) ط4: 1977م (ص: 244)، وعباس. فضل حسن وسناء فضل حسن. إعجاز القرآن الكريم (جزء واحد) دار الفرقان (عمان) (بلا) ط: 1412هـ-1991م (ص: 150-152)، والخالدي. صلاح عبد الفتاح. البيان في إعجاز القرآن (جزء واحد) دار عمار (عمان) ط3: 1413هـ-1992م (ص: 237-241).

3- بوكاي. موريس. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص: 244).

4- الكتاب المقدس (أي العهد القديم والعهد الجديد) (جزء واحد) سفر التكوين. الإصحاح السابع: دار الكتاب المقدس (في الشرق الأوسط) ط (بلا) 1996م (ص: 12).

5- المصدر السابق. الإصحاح الثامن. (ص: 13).

ورواية يهودية أخرى فيها تمييز، بين الحيوانات الطاهرة من ناحية، وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى.

وواضح أن روايات التوراة المتناقضة فيما بينها، وهي مثيرة للنقد الموضوعي، أما رواية القرآن فهي خالية من أي عنصر مثير للنقد. فعند قراءتنا للرواية القرآنية حول الطوفان فإننا نجد فروقاً ثلاثة:

الفرق الأول: هو أن القرآن حين يتحدث عن كارثة الطوفان، يتحدث عنها باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح، ولكن التوراة تجعله عقاباً عالمياً.

الفرق الثاني: القرآن لا يحدد زماناً للطوفان، أما الرواية الكهنوتية فإنها تحدد زمن الطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع فيه كارثة من هذا النوع، خاصة أن هذا العصر قد ازدهرت فيه حضارات كثيرة في مصر وغيرها، فلا يمكن أن يحدث الطوفان في هذا الزمن.

الفرق الثالث: إن القرآن الكريم يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح، [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا

وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ

وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] [هود:40] أما التوراة فان بين رواياتها تناقضاً صريحاً وواضحاً.

وعلى ذلك فان الرواية التوراتية متهافنة وضعيفة ولا تتفق مع مكتسبات المعرفة الحديثة، بعكس الرواية القرآنية الخالية من كل ما يثير النقد الموضوعي.

وحول هذا (الإعجاز التاريخي) والتصويب القرآني، يقول البروفيسور (موريس بوكاي)- بعد أن أورد الاختلاف بين روايات القرآن عن الطوفان-: "فمن عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات، من شأنها أن تلقي نوراً على حدث مثل هذا؟ بالتأكيد لا. فمن العهد القديم إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة، هي التوراة بالتحديد. وإذا لم تكن العوامل الإنسانية تستطيع أن تشرح التغيرات التي طرأت على الروايات لتنتج بها إلى التوافق مع المعارف الحديثة فيجب أن نقبل شرحاً آخر وهو أن هناك تنزيلاً من الله قد جاء بعد التنزيل الذي تحتوي التوراة عليه"⁽¹⁾.

وبعد... فان هذا الاختلاف والتناقض الواضح بين روايات التوراة ونصوصها لهو دليل من أوضح وأصدق الأدلة على مصدر القرآن، وأنه كلام الله وليس تأليف محمد-عليه الصلاة والسلام- وتحقق الإعجاز التاريخي في أخبار القرآن عن أحداث السابقين، وبهذا فقد انتصر القرآن الخالد على التوراة المحرفة، والحمد لله رب العالمين.

1- بوكاي. دراسة الكتب المقدسة (ص:248). س

المطلب الرابع: عمره ووفاته:

عاش نوح ٧ عمراً مديداً طويلاً وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض مقدار عمره، لا كله. قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] [العنكبوت:14].

قال ابن عاشور عند تفسير هذه الآية: "وظاهر الآية أن هذه مدة رسالته إلى قومه ولا غرض في معرفة عمره يوم بعثه الله إلى قومه، وفي ذلك اختلاف بين المفسرين"⁽¹⁾.

وقد ذكر ابن الجوزي هذا الاختلاف فقال: "قوله تعالى: [فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ]

اختلف المفسرون في عمر نوح على خمسة أقوال:

أحدها: بُعث بعد أربعين سنة وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (بعث الله نوحاً لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفسوا)⁽²⁾.

الثاني: أنه لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة.

الثالث: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة.

الرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

الخامس: أن الآية بينت مقدار عمره كله."⁽³⁾

وأما الإمام الفخر الرازي -رحمه الله- فقد ذكر عند تفسيره هذه الآية أقوال بعض

المفسرين في الاستثناء الوارد في الآية فقال:

1- ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت:1393هـ) التحرير والتنوير (30مج) مؤسسة التاريخ (بيروت) ط1: 1420هـ-2000م (146/20).

2- رواه الحاكم. المستدرک علی الصحیحین. كتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین. باب (ذكر نوح النبي ﷺ) برقم (4005)(595/2) وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

3- ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ) زاد المسير في علم التفسير، دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1414هـ -1994م. (130/6).

" قال بعض العلماء الاستثناء في العدد تكلم في الباقي، فإذا قال القائل لفلان علي عشرة إلا ثلاثة، فكأنه قال علي سبعة، إذا علم هذا فقوله [أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا] كقوله تسعمائة وخمسين سنة، فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة إلى غيرها؟⁽¹⁾. وقد أجاب الزمخشري عن هذا التساؤل بفائدتين⁽²⁾:

إحداهما: أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فإن من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أن تقول ألف سنة تقريباً لا تحقيقاً، فإذا قال إلا شهراً أو إلا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق. ولقد علق البيضاوي -رحمه الله- على اختيار هذه العبارة فقال: "ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع"⁽³⁾.

الثانية: هي أن ذكر لبث نوح ٧ في قومه كان لبيان أنه صبر كثيراً فالنبي ٧ أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه وإذا كان كذلك فذكر العدد الذي في أعلى مراتب الأعداد التي لها اسم مفرد موضوع، فإن مراتب الأعداد هي الأحاد إلى العشرة والعشرات إلى المئة والمئات إلى الألف، ثم بعد ذلك يكون التكرير بالتكرير فيقال عشرة آلاف ومئة ألف وألف ألف.

وخلاصة القول في عمر نوح ٧ أنه كان على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين ولادته ونبوته: وهذه لم يخبرنا الله عنها، ولم تثبت في حديث صحيح، فلا نعرف شيئاً عن مكان ولادته ولا عن عمره يوم مبعثه.

المرحلة الثانية: ما بين نبوته والطوفان. وهي حوالي ألف سنة: [أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا] [العنكبوت:14].

المرحلة الثالثة: ما بين نزوله من السفينة إلى وفاته، وهذه لم يخبرنا الله عنها، ولا ثبتت في صحيح الأخبار، فلا نخوض فيها. ثم إن الآيات والأحاديث الصحيحة لم تفصل كيفية احتضار نوح ووفاته ٧، ولا كيفية دفنه، كما أنها لم تحدد المكان الذي دفن فيه، ولا البقعة التي كان قبره فيها وبما أن النصوص المعتمدة قد سكنت عن ذلك، فنحن ملزمون أن نسكت عنه، وأن لا نحاول أخذه من الإسرائيليات.

1- الرازي. التفسير الكبير (41/25-42).

2- الزمخشري. الكشاف (200/3) بتصرف.

3- البيضاوي. أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:691هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (جزء واحد) دار الجبل (بلا) ط (ص:526).

المبحث الثاني: خصائص نوح U ومعالم شخصيته ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص نوح U .

لقد خص الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً U بجملة من الخصائص ورد ذكرها في القرآن

الكريم:

الخصيصة الأولى: الثناء الحسن عليه في كل أمة.

لقد ترك الله - سبحانه وتعالى - الثناء الحسن على نوح في كل أمة تأتي بعده.

وهذا ما يفهم من قوله تعالى: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي

الْعَالَمِينَ] [الصفات: 78-79].

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" قوله تعالى: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي

الْآخِرِينَ] أي تركنا عليه ثناءً حسناً في كل أمة، فإنه محبوب إلى الجميع... وزعم الكسائي⁽¹⁾

أن فيه تقديرين: أحدهما [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ] يقال: [سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ] أي تركنا

عليه هذا الثناء الحسن. وهذا مذهب أبي العباس المبرد. أي تركنا هذه الكلمة باقية؛ يعني
يسلمون عليه تسليماً ويدعون له .

والقول الآخر أن يكون المعنى وأبقينا عليه؛ وتم الكلام ثم ابتداءً فقال: [سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ

[أي سلامة له من أن يذكر بسوء [فِي الْآخِرِينَ] قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود [سَلَّمْ

[منصوب [وَتَرَكْنَا] أي تركنا عليه ثناءً حسناً سلاماً⁽²⁾.

الخصيصة الثانية: قدوة الأنبياء.

1- الكسائي. المحدث الإمام الرحال، أبو الحسن، علي ابن عبد الله بن محمد، الهمداني الكسائي الصوفي (ت:445هـ)،

نزل مصر. انظر. الذهبي. سير أعلام النبلاء (652/17-653).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(90/15).

فنوح ٧ قد جعله - الله تعالى - قدوة الأنبياء، ولم يبعث بعده نبياً إلا وأمره بالإقتداء به. قال تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...] [الشورى:13].

قال القاضي ابن العربي -رحمه الله- "...واستقر المدى إلى نوح، فبعثه الله بترحيم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول، ويتناصر بالأنبياء -صلوات الله عليهم- واحداً بعد واحد، شريعة بعد شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ وكان المعنى: ووصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة"⁽¹⁾.

الخصيصة الثالثة: أول أولي العزم من الرسل.

فقد كان نوح ٧ في مقدمة أولي العزم من الرسل قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] [الأحزاب: 7].

أي وأخذنا منك يا محمد الميثاق ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهؤلاء هم أولو العزم ومشاهير الرسل، وإنما قدمه -عليه الصلاة والسلام- في الذكر لبيان مزيد شرفه وتعظيمه⁽²⁾.

الخصيصة الرابعة: أنه مستجاب الدعاء.

قال تعالى: [وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْنَا عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ] [الصفافات: 75-79].

المعنى: تالله لقد دعانا نوح ٧، ودعا على قومه بالهلاك لما أيس منهم، قائلاً:

[وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا] [نوح: 26] بعد أن قضى دهرًا طويلاً يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، فكذبوه وأذوه وهموا بقتله، وقد تضمن نداء نوح أي

1- ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله. أحكام القرآن (ت: 543هـ) (2مج) دار الفكر (بيروت) (بلاط: 1666/2).

2- انظر. ابن الجوزي. زاد المسير (354/6)، والبيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص: 114).

استغاثته أشياء: من الدعاء على قومه وسؤال النجاة، وطلب النصرة، وفي جميعها وقعت الإجابة، فقد أجاب الله دعاءه، وقوله تعالى: [فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ] يتضمن الإجابة على أكمل ما أراد نوح ٥ .

وقد تضمنت الإجابة الوجوه التالية⁽¹⁾:

1. نجينا نوحاً ومن آمن معه من الغم الشديد: وهو الغرق وتكذيب الكفرة.
 2. وجعلنا ذريته وحدهم دون غيرهم هم الباقين على قيد الحياة، وأهلكتنا من كفر بدعائه.
 3. وأبقينا عليه ثناءً حسناً فيمن يأتي بعده إلى آخر الدهر.
- قال الطبري عن هذا السلام: " أمانة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء"⁽²⁾. وقال ابن عطية: " وأثنى تعالى على نوح بالإحسان، لصبره على أذى قومه ومطاولته لهم وغير ذلك من عبادته وأفعاله"⁽³⁾.
- " إن من مقتضيات الإيمان الصحيح بالله تعالى الإنجاء من المهالك والإسعاد في الدنيا والآخرة، وبقاء الأثر والسمعة الطيبة والذكر الجميل إلى آخر الدهر. وعلى عكس ذلك فإن من مقتضيات الكفر بالله تعالى: الإيقاع في أنواع العذاب الأليم، والشقاء في الدنيا والآخرة، وسوء السمعة ومحل العظة والعبرة، والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من كان عبرة وأثراً يذكر لغيره"⁽⁴⁾.

الخصيصة الخامسة: الإحسان.

قال تعالى: [إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] [الصافات:80].

والمعنى أنا لما خصصنا نوحاً ٥ بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن إبقاء ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لأجل أنه كان محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً لله مؤمناً، والمقصود منه بيان أن أعظم الدرجات وأشرف المقامات الإيمان بالله والانقياد لطاعته⁽⁵⁾.

1- انظر هذه الوجوه. الزحيلي. التفسير الوسيط (2177/3).

2- الطبري. جامع البيان (63/23).

3- ابن عطية. علي محمد عبد الحق بن غالب (ت:646هـ) المحرر الوجيز (5مج) دار الكتب العلمية (بيروت) ط1:

1413هـ-1993م. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (477/4).

4- الزحيلي. التفسير الوسيط (2177/3).

5- انظر الرازي. التفسير الكبير (145/26) والخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت:741هـ)

تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. دار المعرفة (بيروت) (بلاط) (20/4).

وقد علق أبو السعود- رحمه الله- على قوله- تعالى-: [إِنَّا كَذَّبْنَاكَ بِحُجْرِي

الْمُحْسِنِينَ] فقال: " تعليل لما فعل به -عليه الصلاة والسلام- من التكرمة السننية من إجابة دعائه أحسن إجابة، وإبقاء ذريته وتبقيه ذكره الجميل، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان وذلك إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السننية التي وقعت جزاء له-عليه الصلاة والسلام- وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف. والكاف المتعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه.

وقوله تعالى: [إِنَّهُرْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] [الصفات:81] تعليل لكونه من

المحسنين بخلوص عبوديته وكمال إيمانه وفيه من الدلالة على جلال قدرهما ما لا يخفى⁽¹⁾.

الخصيصة السادسة: أن أبا الأنبياء إبراهيم ص من شيعته.

قال تعالى: [وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ] [الصفات:83] لقد ذكر الفخر

الرازي-رحمه الله- أن في هذه الآية مسألتين فقال:

المسألة الأولى: الضمير في قوله (من شيعته) إلى ماذا يعود؟ فيه قولان:

الأول: وهو الأظهر أنه عائد إلى نوح ص أي من شيعة نوح أي من أهل بيته وعلى دينه ومنهاجه لإبراهيم، قالوا: وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح، وأورد صاحب الكشاف أنه " كان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمئة وأربعون سنة"⁽²⁾.

الثاني: قال الكلبي⁽³⁾: المراد من شيعته محمد لإبراهيم بمعنى أنه كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته وإن كان سابقا له، والأول أظهر، لأنه تقدم ذكر نوح ص، ولم يتقدم ذكر النبي ع فعود الضمير إلى نوح أولى.

1- أبو السعود. أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت:982هـ) تفسير أبي السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار الفكر (بيروت) (بلاط: 1402هـ - 1982م). (540-539/4).

2- الزمخشري. الكشاف (3/344).

3- الكلبي . أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث (ت:146هـ) صاحب" التفسير"، من أهل الكوفة. انظر. ابن سعد. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت:230هـ) طبقات الكبرى (9مج) دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1410هـ- 1990م. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا (6/341-342)، والسمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت:562هـ) الأسباب (5مج) دار الجنان (بيروت) ط1: 1408هـ- 1988م. تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي (5/86-87).

المسألة الثانية: "العامل في (إذ) ما دل عليه قوله: [وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ] من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم" (1).

الخصيصة السابعة: ثاني المصطفى - عليه الصلاة والسلام - في الميثاق.

فنوح ٥ هو ثاني نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - وتاليه في الميثاق الذي أخذه الله - سبحانه - من الأنبياء - عليهم السلام - فقال: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ] [الأحزاب:7]، وهو كذلك ثاني المذكورين في الموحى إليهم قال تعالى: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...] [النساء:163].

الخصيصة الثامنة: الشكر.

قال تعالى - في وصفه نوحاً -: [...إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا] [الإسراء:3].

"والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية" (2).

وقد قال الفخر الرازي - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية: "أي كان كثير الشكر... إلى أن قال: وإنما يكون العبد شكوراً لو كان موحداً لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله" (3).

ولقد ذكر الألوسي - رحمه الله - سبب تسمية نوح ٥ عبداً شكوراً فقال: " (إنه) أي نوح ٥ كان عبداً شكوراً كثير الشكر في مجامع حالاته" (4). وقد ذكر - رحمه الله - أن الحاكم أخرج حديثاً في ذلك عن سلمان الفارسي "قال: كان نوح إذا طعم طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله تعالى فسمي عبداً شكوراً" (5) وبعد أن ذكر - رحمه الله - الآثار الواردة قال: " وهذا من جملة شكره ٥ وفي هذه الجملة إيماء بأن إنجاء من معه ٥ كان من بركة شكره وحثاً للذرية على الإقتداء به وزجراً لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفر.. " (6).

1- الرازي. التفسير الكبير (146-145/26).

2- الأثري. أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، صحيح قصص الأنبياء (جزء واحد) من منشورات الدعوة السلفية. (بلاط (ص:71).

3- الرازي. التفسير الكبير (154/20).

4- الألوسي. روح المعاني. (15/15).

5- المصدر السابق (16/15). والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه (392/2) ووافقه الذهبي في التلخيص.

6- المصدر السابق (16/15).

ومقصود الآية: أنكم أيها البشر من ذرية نوح، وقد كان عبداً شكوراً موحداً لله تعالى، مقراً بالآلته ونعمه عليه، ولا يرى الخير إلا من عنده، فأنتم أحق بالإقتداء به، دون آباتكم الجهال⁽¹⁾.

المبحث الثالث: علاقة نوح ٧ بمن قبله ومن بعده من الأنبياء والأقوام.

المطلب الأول: بين نوح وآدم ٧ .

الفرع الأول: آدم ٧ أول الأنبياء.

فمن المعلوم أن آدم أبو البشر وهو أول نبي، بعثه الله إلى أولاده، فعلمهم دين الله، فقد ورد في الحديث عن أبي ذر قال: (... قلت: فأبي الأنبياء كان أول يا رسول الله؟ قال: آدم، قلت: أو نبيي كان؟ قال: نعم نبيي مكرم...) قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون⁽²⁾، وجاءت أجيال بعده على الإيمان والتوحيد، ثم طرأ عليهم الشرك والكفر بعد ذلك، وتمكن الشيطان من إغوائهم وإضلالهم فعبدوا الأصنام.

فبعث الله نوحاً ٧ نبياً ورسولاً، ليدعو هؤلاء الكفار المشركين إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

وقد أخبرنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن نوحاً ٧ هو أول رسول إلى الأرض. فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة المشهور: (ولكن أتتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل بعثه الله إلى أهل الأرض)⁽³⁾. قال ابن العربي -رحمه الله-: "وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول نبي بغير إشكال؛ لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه، ولم تفرض له الفرائض، ولا شرعت له المحارم؛ وإنما كان تنبيهاً على بعض الأمور، واقتصاراً على ضرورات المعاش، وأخذاً بوظائف الحياة والبقاء، واستقر المدى إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات، والبنات، والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول، ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحداً بعد واحد، شريعة بعد شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل

1- انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (213/10) والزحيلي. التفسير المنير (18/15).

2- رواه البيهقي برقم (3576) باب (في الصيام)، وانظر. البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ) شعب الإيمان (9م) دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1421هـ-2000م. تحقيق: أبو هاجر محمد بن بسيوني زغول. (291/3-292).

3- أخرجه البخاري. الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن باب (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً) برقم (4712) (269/3-270)، ومسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب (أدى أهل الجنة منزلة) برقم (332). انظر. مسلم = أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، (5م) دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) (بلاط، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي (180/1-181).

مَلَّتْنَا، على لسان أكرم الرسل نبينا، وكان المعنى: ووصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة، وهي: التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال، والتزلف إليه بما يرد القلب والجراحة إليه، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والإذابة للخلق، كيفما تصرفت، والاعتداء على الحيوان كيفما كان، واقتحام الدنئات، وما يعود بخرم المروءات. فهذا كله شرع ديناً واحداً وملة متحدة لم يختلف على ألسنة الأنبياء، وإن اختلفت أعدادهم، وذلك قوله تعالى: (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه)؛ أي اجعلوه قائماً، يبريد دائماً مستمراً، محفوظاً مستقراً، من غير خلاف فيه، ولا اضطراب عليه. فمن الخلق من وفى بذلك، [...فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ...] [الفتح:10] ومنهم من نكث به، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه. واختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أَرَادَهُ اللهُ، مما اقتضته المصلحة، وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم. والله أعلم⁽¹⁾.

الفرع الثاني: نوح ٥ أول البشر:

لقد أكد الله تعالى رسالة نوح ٥ في غير ما موضع من كتابه العزيز؛ ففي سورة الأعراف جاء قوله -تعالى- :

[لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] [الأعراف: 59]، وفي السورة نفسها: [قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] [الأعراف: 61 - 62]، وقال تعالى في سورة هود: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] [هود: 25]، وفي سورة المؤمنون: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] [المؤمنون: 23]، وقال تعالى في سورة الشعراء: [إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ]

1- ابن العربي. أحكام القرآن (2/1666-1167)، وانظر. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (16/10-11)، والخالدي. القصص القرآني (1/156-157).

[الشعراء: 107]، وفي سورة العنكبوت: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ

سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] [العنكبوت: 14]، وقال

تعالى في سورة نوح: [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ] [نوح: 1]، وقال في سورة الحديد: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي

ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمَمَّا مُمْتَدِّ^ط وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ] [الحديد: 26].

فهذه الآيات قد نصت صراحة على أن الله - تعالى - قد بعث نوحاً نبياً ورسولاً إلى قومه، وقد ابتدأت هذه الآيات بقصة أول رسول بعثه الله لأهل الأرض فإن لأوليائنا الحوادث وقعاً في نفوس المتأملين في التاريخ.

وقد كان نوح بعد آدم عليهما السلام.

لقد أخبرنا الله انه بعث نوحاً نبياً ورسولاً إلى قومه. فقال تعالى : [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [نوح: 1].

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن نوحاً أول رسول للبشر، رجح هذا القول القاضي ابن العربي والإمام القرطبي -رحمه الله- وغيرهم⁽¹⁾.

القول الثاني: آدم هو أول رسول بعثه الله تعالى، ومن الذين رجحوا هذا الرأي القاضي عياض⁽²⁾.

القول الثالث: إدريس هو الرسول الأول للبشر، وممن قال بهذا القول القاضي عياض والقاسمي على اعتباره إلياس⁽³⁾.

وقد علق سيد قطب - رحمه الله- على هذا الموضوع في كتابه (في ظلال القرآن) عند

قوله تعالى: [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ] [نوح: 1].

1- انظر. ابن العربي. أحكام القرآن (4/1666)، والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن (7/232).

2- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (7/233).

3- انظر. القاسمي. محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ) محاسن التأويل (7مج) دار الفكر (بيروت) ط2:

1398هـ-س 1978م. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي (7/135).

فقال: "... ونوح ٧ كان أول هؤلاء الرسل بعد آدم ٧. وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة؛ ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا لهم أصناماً آلهة. اتخذوها في أول الأمر أنصاباً ترمز إلى قوى قدسوها، قوى غيبية أو مشهودة. ثم نسوا الرمز وعبدوا الأصنام ! وأشهرها تلك الخمسة التي سيرد ذكرها في السورة. فأرسل الله لهم نوحاً ٧ يردهم إلى التوحيد، ويصحح لهم تصورهم عن الله وعن الحياة والوجود. والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس ٧ سابقاً لنوح. ولكن ما ورد في هذه الكتب لا يدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشبهة التحريف والتزويد والإضافة إلى تلك الكتب" (1).

وقد رجح القرطبي - رحمه الله - القول الأول فقال :

" ونوح أول الرسل إلى الأرض بعد آدم -عليهما السلام - بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات" (2).

أما آدم ٧ فهو نبي وليس برسول، وهذا هو الراجح، والله أعلم. فمن المعلوم أن آدم أبو البشر هو أول نبي، بعثه الله إلى أولاده، فعلمهم دين الله.

ومما يرجح هذا أيضاً ما يفهم من حديث الشفاعة الوارد في الصحيحين أن رسول الله قال: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء) (3).

فالشاهد في الحديث أن المؤمنين قالوا لآدم ٧ (أنت أبو البشر) (4) ولم يقولوا له كما قالوا لنوح ٧ : (يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض) (5) فلو كان رسولاً، أو أول الرسل لذكروا ذلك. والله أعلم.

أما إدريس ٧ فالراجح أنه نبي وليس برسول، والدليل على ذلك أن نبوة إدريس ٧ متأخرة في بني إسرائيل: ومن الأدلة على ذلك :

1- أن القرآن أشار إلى قصته في سورتي مريم والأنبياء بعد إبراهيم وموسى وإسماعيل ولوط وداود وسليمان وأيوب، وبعده كان الحديث عن يوسف وزكريا ويحيى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام-.

1- قطب. في ظلال القرآن (6/3710).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (7/232).

3- سبق تخريجه (ص:92).

4- سبق تخريجه (ص:92).

5- سبق تخريجه (ص:92).

2- الآية التي تحدثت عنه قارنته مع إسماعيل وذي الكفل، مما يوحي بأنه كان بعد إسماعيل وقيل ذي الكفل. والله أعلم.

3- ومما يدل على أنه كان متأخراً في التاريخ أيضاً حديث المعراج الوارد في الصحيحين⁽¹⁾ والشاهد في الحديث أن آدم وإبراهيم -عليهما السلام- خاطبا محمداً ﷺ بالنبوة، وقالوا له: مرحباً بالابن الصالح؛ وذلك لأن آدم هو أبو البشر، وإبراهيم هو أبو الأنبياء. بينما الأنبياء الخمسة: عيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى -عليهم السلام- خاطبوا محمداً -عليه الصلاة والسلام- بالإخوة، وقالوا له: مرحباً بالأخ الصالح.

وهذا يوحي بأن إدريس متأخر في هذا الزمان، فلو كان بعد آدم وقيل إبراهيم لقالا له كما قالوا لمحمد عليه -الصلاة والسلام-: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح⁽²⁾. ومن الذين رجحوا القول بتأخر بعثة إدريس ﷺ القاضي أبو بكر ابن العربي -رحمه الله- في كتابه أحكام القرآن⁽³⁾. وقد نقل السيوطي عن الحاكم قوله: "وأكثر الصحابة على أنه قبل إدريس"⁽⁴⁾.

ويبقى هنا تساؤل بسيط؛ وهو: هل أرسل إلى قوم نوح ﷺ رسل غيره؟ هذه المسألة على قولين عند العلماء في تفسيرهم لهذه الآية: [كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ] [الشعراء: 105]. الأول: أنهم وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف؛ فمن حيث المعنى حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين. الثاني: إن قوم نوح كذبوا بجميع رسل الله تعالى الذين أرسلهم إليهم⁽⁵⁾.

والذي يظهر أن القول الأول هو الأظهر والله أعلم. ذلك أن قوله: [الْمُرْسَلِينَ] مجاز مرسل، من قبل إطلاق الكل وإرادة البعض، فإنه أراد بالمرسلين نوحاً، وذكره لصيغة الجمع تعظيم له، وتنبية على أن من كذب رسولاً. فقد كذب جميع المرسلين⁽⁶⁾، وهذا مقطوع به، لأنه

1- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب الصلاة. باب (كيف فرضت الصلوات في الإسراء) برقم (394). (106/1)، ومسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. (باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة) برقم (263)(148/1-150).

2- انظر. الخالدي. القصص القرآني (4/92-94).

3- انظر. ابن العربي. أحكام القرآن (4/1666).

4- الحاكم. المستدرک علی الصحيحین. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين. باب (ذكر نوح النبي ﷺ) (595/2)، وانظر. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ) الإتيقان في علوم القرآن (جزء واحد) دار المعرفة (بيروت) ط4: 1398هـ-1978م. (ص: 175).

5- انظر. الزمخشري (3/120)، والطبري (19/90)، والرازي (24/154).

6- الزحيلي. التفسير المنير (19/183).

ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق، فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة، وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: [لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ] [البقرة: 285] لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل، وتصديق واحد يوجب تصديق الكل، والله أعلم" (1).

يقول سيد - رحمه الله - : "وقوم نوح لم يكذبوا نوحاً. ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين... القرآن يؤكد هذا المعنى ويقرره في مواضع كثيرة، بصيغ متعددة، لأنه كلیة من کلیات العقيدة الإسلامية، تحتضن بها الدعوات جميعاً؛ وتقسم بها البشرية كلها إلى صفتين: صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات ومدار القرون. وينظر المسلم فإذا الأمة المؤمنة بكل دين وكل عقيدة من عند الله هي أمته، منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير. وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة ودين. وإذا المؤمن يؤمن بالرسول جميعاً، ويحترم الرسل جميعاً لأنهم جميعهم حملة رسالة واحدة هي رسالة التوحيد" (2).

واللافت للانتباه أن هذه المقالة بعينها جاءت في خمس آيات من سورة الشعراء على لسان خمسة أنبياء وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام للتنبية على وحدة رسالة الأنبياء الداعية إلى توحيد الله وطاعته، وترك عبادة ما سواه.

المدة بين آدم ونوح - عليهما السلام -:

لقد كان مولد نوح ٧ بعد وفاة آدم، وكان بينهم عشرة قرون. ودليل ذلك ما جاء عن أبي أمامة: (أن رجلاً قال: يا رسول الله! أنبي كان آدم؟ قال: نعم، مكلم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون) (3).

وهناك رواية موقوفة على ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: (كان بين نوح و آدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) (4).

ومعنى القرن:

قال الإمام الراغب في المفردات: "الإقتران: كالإزدواج، في لونه اجتماع شيتين أو أشياء، في معنى من المعاني. والقرن: القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون" (1).

1- الجرجاني. حاشية الجرجاني على الكشاف. انظر. الزمخشري. الكشاف (120/3).

2- قطب. في ظلال القرآن (2607/5).

3- سبق تخريجه (ص: 91).

4- أخرجه الحاكم. المستدرک على الصحيحين. كتاب تواریخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين برقم (4009) (596/2).

وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال عنه الذهبي في التخليص: على شرط البخاري.

قال ابن كثير - رحمه الله - : " فإن كان المراد بالقرن مائة سنة - كما هو المتبادر عند كثير من الناس - فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيّد به ابن عباس ؓ بالإسلام؛ إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام، لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون، وزادنا ابن عباس ؓ: أنهم كلهم كانوا على الإسلام" (2).
 "وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب: أن قابيل وبنيه عبدوا النار، والله أعلم" (3).

"وإن كان المراد بالقرن: الجيل من الناس؛ كما في قوله تعالى: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ] [الإسراء: 17]، وقوله: [ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] [المؤمنون: 31]، وقال تعالى: [وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا] [الفرقان: 28]، وقال: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ...] [مريم: 74]، وكفوله U: (خيركم قرني...) الحديث (4)؛ فقد كان الجيل قبل نوح يعمرن الدهور الطويلة؛ فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألاف من السنين! والله أعلم" (5).
 وقد رجح الدكتور صلاح الخالدي - حفظه الله - أن المراد بالعشرة قرون بين آدم ونوح - عليهما السلام - حوالي عشرة آلاف سنة. وقد استند في ذلك إلى متوسط الأعمار بين آدم ونوح - عليهما السلام - وهو: ألف سنة.

والذي يظهر لي أن مدة القرن هي مائة سنة، وذلك لأن إجابة النبي للصحابي الذي سأله عن المدة بين نوح و آدم - عليهما السلام -، يفهم منها: أن المقصود بالقرن مائة سنة؛ لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - يتكلم بلسانه لأهل عصره وزمانه، فأعمار أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - ما بين الستين والسبعين، وقليل منهم من يجوز ذلك، والأمر الآخر: أن هذا المعنى هو الذي يتبادر للذهن عند كثير من الناس - كما قال ابن كثير - رحمه الله - أنفأ، والله أعلم.

1- الأصفهاني. الراغب (ت: 425هـ) مفردات ألفاظ القرآن (جزء واحد) دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت) ط1: 1412هـ - 1992م. (ص: 667). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. وسأشير إليه فيما بعد: الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن.
 2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت: 774هـ) قصص الأنبياء، (جزء واحد) دار الجيل (بيروت) ط3: 1405هـ - 1985م. (ص: 63-64). تحقيق: د. السيد الجميلي، وانظر الأثري. أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي. صحيح قصص الأنبياء، (جزء واحد)، من منشورات الدعوة السلفية (بلاط) (ص: 47-48).
 3- المصدر السابق.
 4- أخرجه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب الشهادات، باب (لا يشهد على شهادة جور إذا شهد) برقم (2651) و (2652) (203/2-204)، ومسلم. صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب (فضل الصحابة) برقم (2533) و (2535) (1962/4).
 5- ابن كثير. قصص الأنبياء (ص: 63-64).

المطلب الثاني : بين نوح ومن بعده من الأنبياء.

الفرع الأول : نوح الأب الثاني للبشر.

قال تعالى: [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَىٰ ۖ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ] [الأنعام: 84-86].

لقد جزم ابن جرير-شيخ المفسرين-بأن الضمير في [ذُرِّيَّتِهِ] لنوح وتابعه على ذلك بعض المفسرين، واحتجوا بأنه أقرب في الذكر وبأن لوطا ويونس ليسا من ذرية إبراهيم، وذهب سائر المفسرين إلى أن الضمير عائد إلى إبراهيم لأن الكلام في شأنه، وما آتاه الله تعالى من فضله، وإنما ذكر نوحاً لأنه جده، فهو لبيان نعم الله عليه في أفضل أصوله تمهيداً لبيان نعمه عليه في الكثير من فروع (1).

ولقد علق ابن جرير-رحمه الله-على هذه القضية الخلافية في عود الضمير في [ذُرِّيَّتِهِ] فقال: "جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوقفناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له، وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا، وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كل محسن" (2).

وهذا الذي جزم به ابن جرير-رحمه الله-هو الأظهر، والله أعلم؛ وذلك لأن الضمير يعود على أقرب مذكور عند أهل اللغة؛ وهو من باب الامتنان على نوح ٧ من أن سلالة نوح وذريته أنبياء، فجعل من ذريته داوود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون-عليهم السلام-، فهي ذرية طيبة: [ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ] [آل عمران: 34].

الفرع الثاني: فلسفة تكامل الرسالات .

1- انظر الطبري. جامع البيان (7/ 260-261)، والرازي. التفسير الكبير (13/64)، والمنار. تفسير القرآن الحكيم

(7/ 586-588)، وابن عطية. المحرر الوجيز (2/316) باختصار وتصرف.

2- الطبري. جامع البيان (7/260-261).

"ونلاحظ أن حكمة الله العالية قد راعت في تنزيل الرسالات السماوية تطور الأمم في الأرض، من أمم بدائية محدودة العلاقات فيما بينها، منعزلة في قراها المتنائية، لا تجمع بينها صلات تجارية أو ثقافية أو سياسية، إلى أمم متحضرة متعلمة، تربطها ببعضها مختلف الصلات، وتقرب بين بلادها وحوضرها وسائل المواصلات السريعة، التي اختصرت الشهور إلى ساعات من ليل أو نهار، وذلك مختلف الصعاب في الأنجاد والأغوار، وركبت الماء والهواء، واستخدمت النار والكهرباء، إلى غير ذلك من مكتشفات قوى الكون وطاقاته الكمينة"⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أن الشرائع في الرسالات السماوية قد تختلف وتتفاوت من أمة إلى أمة، في صورها وأشكالها لا في روحها ومعناها، وذلك بالنظر إلى اختلاف حاجات الأمم لأنواع الإصلاح والتوجيه. يقول القرطبي -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ...][الشورى:13] "أي الذي له مقاليد السماوات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى؛ ثم بين ذلك بقوله تعالى: [أَنَّ أَقِيمُوا الدِّينَ] وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. ولم يُرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة؛ قال تعالى: [لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا]"⁽²⁾[المائدة:48]. فمثلاً: قد تكون سيئات إحداها التطفيف في المكيال والميزان، وهي بحاجة إلى توجيه خاص يصلح هذه السيئة، بينما تكون سيئات أخرى عمل الفواحش، وسيئات ثلاثة الظلم والعدوان وقتل الأنفس بغير حق، ومطالب أمة رابعة نظاماً قانونياً ينظم علاقات الناس التجارية، أو قانوناً ينظم علاقات الناس السياسية في السلم والحرب، وهكذا... وكل هذا في هذه الأمم المنعزلة يتطلب توجيهاً خاصاً، ولوائح تشريعية ذات طابع خاص، كما يدعو في هذه البيئات المحصورة المنعزلة أن تكون أحكامها وشرائعها التي يحملها الرسول المرسل إليها مما يناسب واقع علاقات هذه الأمم وأوضاعها؛ سواء في الأسلوب، أو في موضوع الأحكام والشرائع، دون زيادة عن الحاجة، وبالطريقة التي تضمن أفضل وسائل العلاج لتلك الأمة.

فإذا ألقينا -مثلاً- نظرة على الشعوب البدائية التي لا تعرف من وسائل عيشها غير غنيمات ترعاها؛ فتشرب من لبنها، وتأكل من لحمها، وتلبس من جلودها وتعيش في قراها أو بواديه التي تفيض خيراتها عن حاجاتها، نرى أن جل حاجاتها من أحكام الشرائع والقوانين

1- الميداني. عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها (جزء واحد) دار القلم (دمشق) ط2: 1399هـ- 1979م (ص:520).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (104/16).

مبادئ العقائد وأسس العبادات، وجملة من الأخلاق، ونزر يسير من أحكام المعاملات. ثم نرى أنه من العيب بمكان بالنسبة إلى هؤلاء المنعزلين، الذين لا يدرون شيئاً عن مشاكل التجارة والصناعة والسياسة، أن يحمل إليهم نظام شامل عام، يبين القوانين المنظمة لصور البيوع والرهون والشركات، والعلاقات الدولية السياسية وغير السياسية ونحو ذلك، وهم لا يدرون في واقع حالهم من هذه المعاملات شيئاً!!

- أ- كل هذه النظرات مما يفسر لنا الحكمة من تدرج الشرائع السماوية، وتوسع حلقات أنظمتها، من مجموعة من رسل سابقين إلى جملة من رسل لاحقين، حتى خاتمة الرسالات السماوية.
- ب- ومما يكشف لنا عن وجه الحكمة الربانية العظيمة، في تنبيه شعوب الأرض إلى واجبها، بحسب مستوياتها، وذلك على أسنة الرسل.
- ج- ومما يوضح لنا أيضاً وحدة الرسالات السماوية في تاريخ الأرض، بأسسها ومبادئها وغاياتها. كما يوضح تناسقها فيما بينها، وتكامل السابق منها باللاحق، بطريقة تدريجية رائعة، حتى كان إتمامها وختمها برسالة محمد- عليه الصلاة والسلام-(1).

الفرع الثالث: تكاملية العلاقة بين نوح و بين رسل الله جميعاً.

لقد طلب نوح و من قومه عبادة الله، ونهاهم عن عبادة غيره، قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا

نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] [الأعراف: 59].

وقال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ أَنْ لَا

تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ] [هود: 25-26].

وقال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] [المؤمنون: 23].

ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى عبادة الله وإقامة الدين هو الغرض من بعثة الرسل

-عليهم السلام- جميعاً قال تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ

وَآجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ] [النحل: 36].

1- الميداني. العقيدة الإسلامية وأسسها (ص: 522-523).

وقال تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...] [الشورى :13].

" ولذلك نرى أن أسس رسالات الرسل ومبادئ دعوتهم واحدة، لأنهم رسل مرسل واحد، فلا خلاف في العقائد التي دعوا إليها، ولا خلاف في روح العبادات التي أمروا بها"⁽¹⁾، " فرسالة نوح U من حيث العقيدة، هي رسالة كل نبي، فهي الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإفراده بالعبادة والخضوع والطاعة، وفي تعريفهم على صفات الله وأفعاله، وفي الإيمان بالبعث والحساب، والجنة والنار، وفي تعريفهم ما خلق الله من حولهم من الملائكة والجن، والسموات والأرض، والشمس والقمر"⁽²⁾.

ومن هذا الباب أخبرنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن نوحاً U أنذر قومه بالذجال. فمنه ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ع: (ألا أخبركم عن الذجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور. وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار. فالتي يقول إنها الجنة، هي النار. وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه)⁽³⁾.

" إن ظهور الذجال في آخر الزمان من مسائل العقيدة، وبما أن العقيدة واحدة عند جميع الرسل، فقد أنذر كل نبي قومه الذجال، وحذرهم منه، وما ذلك إلا لعظم فتنته"⁽⁴⁾

المطلب الثالث: بين نوح U ومن بعده من الأقسام.

الفرع الأول: التشابه والتماثل في العلاقة بين قوم نوح U ومن بعده من الأقسام.

لقد سبق الحديث في المطلب الثاني عن علاقة التكامل بين نوح U والأنبياء من بعده؛ وفي هذا المطلب -إن شاء الله- سيكون الحديث عن علاقة التماثل والتشابه بين قوم نوح U والأقسام الذين جاءوا من بعده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " وهو سبحانه كما يفرق بين الأمور المختلفة، فإنه يجمع ويساوي بين الأمور فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً بحكم مثله، فلا يفرق بين التماثلين ولا يساوي بين شئيين غير متماثلين، بما أن كانا مختلفين متضادين لم يساو بينهما. وقد بين

1- الميداني. العقيدة الإسلامية وأسسها (ص:520).

2- الخالدي. القصص القرآني(1/166).

3- أخرجه مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن و أشراط الساعة باب(ذكر الذجال وصفته وما معه) برقم(2936)
(2250/4).

4- انظر سابق. سيد سابق، العقائد الإسلامية(جزء واحد)دار الكتاب العربي (بيروت)(بلاط: 1406هـ-1985م
(ص:178).

-سبحانه وتعالى- أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع. والسنة هي العادة التي تتضمن ما يفعل في الثاني مثلما فعل بنظيره، ولهذا أمر - سبحانه وتعالى- بالاعتبار فقال: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...]⁽¹⁾ [يوسف: 111].

ومن الأدلة على قانون التماثل :

1- قوله تعالى في سورة إبراهيم: [أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ^ش] [إبراهيم: 9].

والمعنى : " أن موسى قال لقومه ألم يأتكم خبر قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يحصي عددهم ولا يعرف نسبهم إلا الله؛ جاءتهم رسلهم بالحجج والدلالات، فردوا أقوالهم وكذبوهم وشككوا في صدقهم" ⁽²⁾.

2- وقال تعالى: [أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ^ش وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ^ع جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ] [إبراهيم: 9].

وقال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ^ر إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] [الأعراف: 59].

وقال تعالى: [* وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا^ط قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ^ر أَفَلَا تَتَّقُونَ] [الأعراف: 65].

وقال تعالى: [وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا^ط قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ^ر] [الأعراف: 73].

1- ابن تيمية. مجموع الفتاوى (19/13 وما بعدها).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (344/9-345) باختصار وتصرف.

وقال تعالى: [وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ] [الأعراف:80].

وقال تعالى: [وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ] [الأعراف:85]. ويقول سيد رحمة الله- في التعليق على هذه الآية:

" وها نحن أولاء في هذه السورة نلتقي موكب الإيمان يرفع أعلامه رسل الله الكرام : نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى ومحمد -عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين - ونشهد كيف يحاول هذا الرهط الكريم -بتوجيه الله وتعليمه- إنقاذ الركب البشري من الهاوية التي يقوده إليها الشيطان وأعدائه من شياطين الإنس المتكبرين عن الحق في كل زمان. كما نشهد مواقف الصراع بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، وبين الرسل الكرام وشياطين الجن والإنس، ثم نشهد مصارع المكذبين في نهاية كل مرحلة ونجاة المؤمنين، بعد الإنذار والتنكير. ولقد جاءت هذه الآيات في استعراض تاريخي لما كان بين الرسل وأقوامهم، وما صار إليه أمر هؤلاء الأقوام بعد تكذيب الرسل، والخروج على أمر الله. ويستمر هذا العرض التاريخي لمشاهد النضال والدعوة من الرسل، ومشاهد الكفر والتكذيب من أقوامهم وعواقب هذا التكذيب التي حلت بالمكذبين"⁽¹⁾.

" والذي يظهر لنا مما سبق أن المكذبين لهم مسلك والصالحين لهم مسلك، وإن الذين يتساوون في موجبات العقاب من تكذيب الرسل أو عصيان شرع الله أو ظلم عباد الله أو الكفر بنعم الله وغير ذلك؛ إذا تلبس بها قوم أو فئة أو شخص استوجبوا عقاب الله في الدنيا والآخرة. ومن عقابهم في الدنيا هلاكهم أو إصابتهم بالذل والهوان وضيق العيش وزوال الأمن منهم والاطمئنان وغير ذلك، وبهذا مضت سنة الله في الأولين وتجري في الحاضرين واللاحقين"⁽²⁾. وهنا يعلق صاحب الضلال -رحمه الله - فيقول: "وهنا يكشف السياق كذلك عن العلاقة بين القيم الإيمانية وسنن الله في أخذ الناس، حيث لا انفصال في خطوات قدر الله بين هذه السنن وتلك القيم. هذه العلاقة التي تخفى على الغافلين لأن آثارها لا تبدو في المدى القريب؛ ولكنها لا بد

1- قطب. في ظلال القرآن (1302/3 وما بعدها)، وانظر. شلتوت. محمود. تفسير القرآن الكريم (جزء واحد) دار الشروق. ط(5):1973م. (ص:499-500)، وحوى. سعيد. الأساس في التفسير (11مج) دار السلام (القاهرة) ط1: 1405هـ-1985م (1931/4).

2- زيدان، عبد الكريم. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية (جزء واحد) مؤسسة الرسالة (بيروت) ط(3): 1414 هـ -1994م. (ص:167).

واقعة في المدى الطويل. [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]⁽¹⁾ [الأعراف:96].

الفرع الثاني: بين نوح وأمة محمد -عليه الصلاة والسلام-.

شهادة أمة محمد، لنوح ٥.

إن أمة محمد ٤ هي الأمة الوسط العادلة، هي أمة العدالة والشهادة، التي تحب الأنبياء السابقين جميعاً، ولذلك تشهد لهم بالصدق والعدل، لأنهم بلغوا أقوامهم، ولكن أقوامهم ينكرون ويكذبون، ومما يؤكد هذه الشهادة قوله تعالى: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...] [البقرة: 143].

ومن هذه الشهادات الصادقة العادلة، الشهادة التي يقدمونها لنوح ٥ يوم القيامة، وقد علموا ذلك من كتاب الله، ومن حديث رسول الله، فأمنوا به وصدقوه، وشهدوا به.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ٦ قال: قال رسول الله ٤: (يجيء نوح وأمته. فيقول الله -تعالى-: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي ربي. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فنقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ٤ وأمته، قال ٥: فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...] [البقرة: 143]. والوسط: العدل⁽²⁾.

1- قطب. في ظلال القرآن. (1327/3).

2- أخرجه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب أحاديث الأنبياء. باب [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...] [هود:25]

برقم(3339) (127/2).

الفصل الثاني

قوم نوح U

المبحث الأول: كفر قوم نوح U، وتكذيبهم.

المطلب الأول: كفر قوم نوح U.

قال تعالى: [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...] [هود:27].

وقال تعالى: [وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبُنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ] [هود:42].

وقال تعالى: [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...] [المؤمنون:24].

وقال تعالى: [تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا] [القمر:14].

وقال تعالى: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا] [نوح:23].

وقال تعالى: [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] [نوح: 26-27].

لقد نصت الآيات السابقة على كفر عموم قوم نوح U؛ ومما لا شك فيه أن الناس بعد آدم U كانوا مؤمنين بالله، موحدين له، ومرت أجيال منهم على الإيمان؛ ولكن الشيطان بعد هذه الأجيال المؤمنة تمكن من إغواء الناس، وإبعادهم عن الإيمان وقيادتهم إلى الكفر والشرك بالله، كما قال ابن عباس T: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) (1).

وهذا دليل على أن الإسلام أول دين على وجه الأرض، ثم جاء الشرك طارئاً وشاذاً على البشرية بعد ذلك.

فلما جاء نوح U إلى قومه، وجدهم يعبدون الأصنام والأوثان، وقد ذكر القرآن أسماء خمسة أصنام لهم.

قال تعالى: [وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كُبْرًا ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ

وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوتَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا] [نوح: 22-24].

وقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حديثاً في كيفية انحراف قوم نوح، وعبادتهم لتلك الأصنام.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما (ود) فكانت لكلب، بدومة الجندل... (2) الحديث).

وهذه الحقيقة.. حقيقة أن أول عقيدة عرفت في الأرض هي الإسلام القائم على توحيد الدينونة والربوبية والقوامة لله وحده.. تقودنا إلى رفض كل ما تخبط فيه من يسمونهم (علماء الأديان المقارنة) وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طوراً متأخراً من أطوار العقيدة. سبقتها أطوار شتى من التعدد والتنثنية للآلهة، ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح، وتأليه الشمس والكواكب.. إلى آخر ما تخبطت فيه هذه (البحوث) التي تقوم ابتداءً على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة؛ يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الإلهي والرسالات من عند الله وإثبات أن الأديان من صنع البشر؛ وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشري على مدار الزمان!.

1- سبق تخريجه (ص: 102).

2- سبق تخريجه (ص: 73).

فالذي نجزم به.. " أن هذه الجاهلية طارئة على البشرية في الأرض بوثنتيتها وأساطيرها وخرافاتهما وأصنامها وتصوراتها وتقاليدها جميعاً. وأنها انحرفت عن الإسلام إليها بفعل الشيطان المسلط على بني آدم؛ وبفعل الثغرات الطبيعية في النفس البشرية. تلك الثغرات التي ينفذ منها عدو الله وعدو الناس، كلما تراخوا عن الاستمساك بهدى الله، وإتباعه وحده، وعدم إتباع غيره معه في كبيرة ولا صغيرة" (1).

المطلب الثاني: تكذيب قوم نوح U وعنادهم.

الفرع الأول: تكذيب قوم نوح U .

لقد نص القرآن الكريم على تكذيب قوم نوح U في كثير من آياته. من ذلك ما جاء في سورة القمر قوله تعالى: [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ] [القمر:9]. وقد أسند التكذيب إلى جميع القوم لأن الذين صدقوه عدد قليل فإنه ما آمن به إلا قليل" (2).

فقوله-تعالى- [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ] "نكر جُملاً من وقائع الأمم الماضية تأنيساً للنبي -U- وتعزية له. (قبلهم) أي قبل قومك" (3).

وقد عقب الزمخشري - رحمه الله - على هذه الآية بقوله: " فإن قلت ما معنى قوله: [فَكَذَّبُوا] بعد قوله: [كَذَّبَتْ] ؟ قلت معناه كَذَّبُوا فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا: أي كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا: أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل" (4).

ولقد ذكر الألوسي - رحمه الله - معنى قوله: [فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا] بعد قوله: [كَذَّبَتْ] " إن هذا تفسير لذلك التكذيب المبهم، وفيه مزيد تحقيق، وتقرير للتكذيب أي فكذبوا عبدنا نوحاً، وجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله" (5).

1- قطب. في ظلال القرآن (4 / 1882) .

2- ابن عاشور. التحرير والتنوير (174/27).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (17 / 131).

4- الزمخشري. الكشاف (4 / 37) .

5- الألوسي. روح المعاني (27/81).

وقد ذكر -رحمه الله- أن قوم نوح كانوا أول المكذبين فقال: [فَكَذَّبُوا عِبَدَنَا] أي لما كانوا مكذبين للرسول جاحدين للنبوّة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل، والفاء عليه سببية، وقيل: معنى [كَذَّبَتْ] قصدت التكذيب وابتدأته، ومعنى فكذبوا أتموه وبلغوا نهايته⁽¹⁾.

سبب تكذيب قوم نوح U .

وقد كان سبب تكذيب قوم نوح U ما ذكره محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى [... وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ] [الأعراف:64] :

" إنهم ما كذبوا إلا لعمى في بصائرهم حال دون اعتبارهم وفهمهم لدلالة تلك الآيات على توحيد الله وقدرته على إرسال الرسل وحكمة ربوبيته في ذلك، وعمون جمع عم، وهو ذو العمى، وأصله عمي بوزن كتف. وقيل إنه خاص بعمى القلب والبصيرة، والأعمى يطلق على الفاقد لكل منهما"⁽²⁾.

ولو تركوا العناد واللجاج، ونظروا في الدليل لظهر المقصود، وتبين أن الله قد آتى نوحاً ومن معه الفضل على الذين كفروا من قومه⁽³⁾.

الفرع الثاني: عنادهم وإصرارهم على التكذيب.

لقد أصر قوم نوح U على كفرهم وعنادهم، ورفضوا دعوته، وكلما زاد إقبالاً عليهم ودعوة لهم، وتلطفاً وتحبباً وتقرباً إليهم، زادوا كفراً وعناداً، وازدادوا تكديباً له، وفراراً منه.

ولهذا قال نوح U وهو يقدم لربه حسابه الأخير في نهاية الأمد الطويل: [وَإِنِّي كُلاًَّمَا

دَعَوْتُهُمْ لِيَتَّغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْصِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا

أَسْتَكْبَرُوا] [نوح:7].

" أي كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو الإيمان بالله والطاعة له- فاللام في قوله: (لتغفر) لام التعليل-، سدوا آذانهم برؤوس أصابعهم، لئلا يسمعوها ما دعوهم إليه، وغطوا بئسابهم وجوههم

1- المصدر السابق، وانظر. الزحيلي. التفسير المنير (158/27).

2- المنار. محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (12مج) دار المعرفة (بيروت) ط2 (494/8).

3- انظر. الرازي. التفسير الكبير (213/17).

لئلا يروني، ولئلا يسمعوا كلامي، واستمروا على الكفر والشرك ولازموه، وتكبروا عن قول الحق تكبراً شديداً، أي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له⁽¹⁾.

فهذه "صورة لإصرار الداعية على الدعوة وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها؛ وإصرارهم على الضلال واستكبارهم عن الاستجابة لصورة الحق والهدى. برز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة. تبرز في وضع الأصابع في الأذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب.

والتعبير القرآني يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل، وهو يقول: أنهم [جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ] وآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، وإنما هم يسدون بها أطراف الأصابع. ولكنهم يسدون بها بعنف بالغ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضماناً لعدم تسرب الصوت إليهم بتاتاً! وهي صورة غليظة للإصرار والعناد⁽²⁾.

"وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز المرسل بعلاقة البعضية، فإن الذي يجعل في الأذن الأناملة لا الأصبع كله، فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو أمكن لأدخل الأصابع كلها، ومثيل ذلك قوله تعالى: [تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ] [البقرة:19].

[وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ] واستغشوا الثياب: جعلها غشاء، أي غطاء على أعينهم، تعريضاً لسد آذانهم بالأصابع لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إشارته، وأكثر ما يطلق الغشاء على غطاء العينين، قال تعالى: [وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ] [البقرة:7]. والسين والتاء في [أَسْتَعْشَوْا] للمبالغة.

فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الأذان واستغشوا الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعيه في أذنيه ويجعل من ثوبه ساتراً لعينه. ويجوز أن يكون تمثيلاً لحالهم في الإعراض عن قبول كلامه ورؤية مقامه بحال من يسكُ سمعه بأناملتيه ويحجب عينيه بطرف ثوبه⁽³⁾.

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (300/18)، وانظر. الزحيلي. التفسير الوسيط (2743/3-2744).

2- قطب. في ظلال القرآن (3712/6).

3- ابن عاشور. التحرير والتنوير (181/29-182).

" فاستغشاء الثياب إذن زيادة في سد الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتكبيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه"⁽¹⁾. " وهي صورة غليظة للإصرار والعناد، كما أنها صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار!"⁽²⁾ .

" والإصرار: تحقيق العزم على فعل، وهو مشتق من الصّر وهو الشد على شيء والعقد عليه، ومثيله عند قوله تعالى: [وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا] [آل عمران:135]. وحذف متعلق (أصروا) لظهوره، أي أصروا على ما هم عليه من الشرك.

[وَأَسْتَكْبَرُوا] مبالغة في تكبروا، أي جعلوا أنفسهم أكبر من أن يأتَمروا لواحد منهم

[مَا نَرَلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ

الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ...] [هود:27]. وتأکید [أَسْتَكْبَرُوا] بمفعوله المطلق

للدلالة على تمكن الاستكبار. وتتوین [أَسْتَكْبَرًا] للتعظيم، أي استكباراً شديداً لا يفله حدُّ الدعوة"⁽³⁾.

المطلب الثالث: جدال قوم نوح U.

لقد أكثر نوح U الجدال مع قومه، حتى قالوا ما أخبرنا الله عنهم:

[قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ...] [هود:32]. " وهذا يدل على أنه U قد

أكثر الجدال معهم، وذلك الجدال ما كان إلا في إثبات التوحيد والنبوة واليوم الآخر"⁽⁴⁾.

" والجدال في الدين محمود كجدال نوح والأنبياء أقوامهم حتى يظهر الحق فمن قبله أفلح ومن رده خاب وخسر. وأما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم وصاحبه في الدارين ملوم"⁽⁵⁾، وجدال قوم نوح يقوم على الباطل والافتراء والقول بلا علم ولا دليل ولا برهان، حتى إذا انقطعوا في الجدال ظهر باطلهم، وشدد نوح عليهم الخناق بالحجة والبرهان [قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(300/18).

2- قطب. في ظلال القرآن(3712/6).

3- ابن عاشور. التحرير والتنوير(182/29).

4- الرازي. التفسير الكبير (218/17)

5- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (28/9).

مِنَ الصّٰدِقِيْنَ] [هود:32]. أي فأتنا بالعذاب الذي تعدنا به إن كنت صادقاً في قولك وفيما تدعيه من أنك رسول الله⁽¹⁾.

نماذج من الجدل بين نوح وقومه:

أ- قولهم عن نوح أنه في ضلال.

قال تعالى: [قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [الأعراف:60]. وقد أخبرتنا هذه الآية عن ظاهرة عجيبة وخطيرة، في الوقوف أمام نوح U ومحاربته، وهي ظاهرة [الْمَلَأُ] ولتسميتهم باسم [الْمَلَأُ] ملحظاً ذو دلالة.

قال الإمام الراغب في معنى [الْمَلَأُ]: "الملا: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً،... يقال: فلان ملء العيون. أي: معظم عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته..."⁽²⁾.

" فقوم نوح الكفار كان لهم ملاء- وكل كفار لهم ملاء، يقودونهم في مواجهة الحق-.

وهؤلاء (الملاء) كانوا يجتمعون على كفرهم، ويلتقون في جلساتهم على التآمر ضد نوح U ورسالته، ويتفقون على أساليب حربته ومواجهته، ويضعون خطة إعلامية، ينفذونها في أتباعهم وجنودهم وأعوانهم.

وسمي هؤلاء (ملاءً) لأنهم كانوا يملؤون عيون جماهيرهم وأتباعهم مهابةً وخوفاً، ويملؤون نفوس جنودهم رهبةً وإجلالاً، أي: كانوا ملء عيون ونفوس وقلوب وعقول أتباعهم وجنودهم. ولهذا كانوا يخافون منهم، ويرهبونهم، ومن ثم كانوا يتبعونهم وينفذون ما يطلبونه منهم، ويجندون لهم أعواناً في رفض الحق، ومواجهة نوح U.

هذه هي الآثار الخطيرة لظاهرة (الملاء) التي نلاحظها في قصص الأنبياء في القرآن الكريم، والتي كانت تمثل القيادة الشيطانية لحزب الشيطان، في مواجهة الحق وجنوده. وتخبرنا آيات القرآن في قصة نوح U، أن هؤلاء (الملاء) هم الذين قادوا قومهم في مواجهته، وهم الذين أثاروا الشبهات ضده، وضد دعوته وأتباعه وقدموا طلباتهم له، ووجهوا

1- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(28/9).

2- الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن (ص:776)، وانظر. الزجاج. معاني القرآن وإعرابه(2/346)، وحجازي. محمد محمود. التفسير الواضح(3مج) دار الجيل(القاهرة)ط6: 1389هـ-1969م.(67/1).

تهديداتهم إليه. وقد واجه نوح ٧ هؤلاء (الملا) وفند شبهاتهم، ولم يستجب لطلباتهم، ولم يرضخ لتهديداتهم، وإنما تحداهم، وحاربهم، واستعلى عليهم بإيمانه، متوكلاً على الله ربه⁽¹⁾.

وهؤلاء (الملا) هم الذين قالوا لنوح ٧: [إنا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [الأعراف:60]

أي إنا لنراك "يا نوح في خطأ وزوال عن الحق بين"⁽²⁾.

فقال نوح ٧ في جوابه لهم: [قَالَ يَنْقَوْمَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَلْبِغْكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مَنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ]

[الأعراف:61-62]. هكذا أجابهم نوح ٧ بجواب لطيف رقيق قوي الحجة فنفي أن تكون به ضلالة؛ لأنه رسول من رب العالمين، والشأن في الرسول من رب العالمين أن يكون على الهدى والحق المبين، وليس على الضلال، وأنه جاء ليلبغهم رسالات ربه، وينصح لهم، وهذا هو شأن رسول الله: يكون مبلغاً عن ربه، صادقاً في تبليغه، ناصحاً لمن يبلغهم، عالماً بالله⁽³⁾.

ثم قال نوح في جوابه لهم: [أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] [الأعراف:63]. "أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا

ليس بعجيب أن يوحي الله تعالى إلى رجل منكم رحمة بكم، ولطفاً وإحساناً إليكم؛ لينذركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به"⁽⁴⁾.

ب- إثارة الشبهات لنفي نبوة نوح ٧ وتكذيب رسالته:

قال تعالى عن قوم نوح وما أثاروه من الشبهات في جدالهم مع نوح ٧ لنفي النبوة عنه

وتكذيبه في رسالته: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا

وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن

فَضْلٍ بَلْ نَحْنُكُمْ كَذِبِينَ] [هود:27].

1- الخالدي. القصص القرآني(1/170-171).

2- الخازن. لِبَابِ التَّأْوِيلِ(2/101).

3- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(2/223) بتصرف.

4- المصدر السابق، وانظر. المنار. تفسير القرآن الحكيم (8/493).

وقال تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾
 إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) [المؤمنون: 24-25]. وقال تعالى:
 (قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾
 إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الشعراء: 111-114] .

هذه الآيات التي ذكرناها تثبت أن قوم نوح أثاروا في جدالهم معه جملة من الشبهات تبريراً لرفضهم دعوة نوح و هذه الشبهات هي:

الشبهة الأولى: كونه من البشر .

قال تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ...)
 [هود: 27] " أي أنت بشر مثلنا في الجنس لا مزية لك علينا تكون بها نذيراً لنا، نطبعك ونتبعك مذعنين لنبيوتك و رسالتك. فالمساواة في البشرية بينهم وبينه تنافي في زعمهم دعوى تفوق أحد المتساوين على الآخر لجعل أحدهما تابعاً طائعاً، والآخر متبوعاً مطاعاً"⁽¹⁾. ثم إن نوحاً ليس بملك، ولكنه بشر فكيف يصح ويجوز في زعمهم - أن يوحى إليه من دونهم!⁽²⁾.

الرد على هذه الشبهة :

قوله تعالى: [قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ كُتُوبَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ] [هود: 28]. ومعنى هذه الآية: " أرأيتم إن كنت على يقين وأمر جلي وحجة ظاهرة من ربي فيما جئتمكم به، (وَعَآتِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ) وهي النبوة (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) أي فحجبها عنكم لجهلكم وغروركم بملككم وجاهكم،

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم(61/12-62).

2- انظر. ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(442/2).

فلم تستبينوا بها على ما تدل عليه من التفرقة بيني وبينكم، وإذ جعلتموني بشراً مثلكم⁽¹⁾؛ لأن " حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة"⁽²⁾، وما تستلزمه هذه الصفة-صفة النبوة و الرسالة من وجوب متابعتكم وطاعتكم لي، لأنني بهذه الصفة أبلغكم ما يوحيه إليّ ربي . فإذا أنتم جهلتم ما آتاني ربي من رحمة من عنده وهي النبوة، وعميت عليكم فهل نلزمكم إياها بالجبر والإكراه؟ أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها إن شئتم أم أبيتم والحال أنكم كارهون لها إنكاراً و جحوداً و استكباراً؟ أي لا أقدر على ذلك و لا أحاول فعله بالإكراه؛ لأن الإيمان يكون عن رضا واختيار لا عن جبر أو إكراه.⁽³⁾

الشبهة الثانية: النبي يكون ملكاً.

قال قوم نوح في تبرير رفضهم دعوة نوح: (...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ) [المؤمنون:24] . قولهم (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا) " أي لو شاء الله-بزعمهم- إرشاد البشر عن طريق إرسال أنبياء؛ لبعث لهذا الغرض ملائكة، فهم اقدر من البشر على تحقيق هذا الغرض؛ لعلو شأنهم وشدة سطوتهم، فالخلق ينفادون إليهم ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا البتة، وقالوا: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ) أي ما سمعنا بمثل هذا الذي يدعي، وهو بشر، أنه رسول الله"⁽⁴⁾.

الرد على هذه الشبهة:

أن نوحاً ن أرسله الله ليبلغ رسالته إلى قومه، قال تعالى حكاية عما قاله نوح: (... وَلَئِكَ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي...) [الأعراف:60] ولا قيد ولا تعقيب على إرادة الله فيمن يرسله رسولا، فإن شاء أرسل رسولا من البشر، ولا تعقيب على مشيئته. وقال تعالى حكاية عما قاله نوح لقومه: (أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ

1- المصدر السابق(2/443).

2- المنار. تفسير القرآن الحكيم(12/63-64).

3- انظر. الرازي. التفسير الكبير (17/213).

4- المصدر السابق(23/92).

رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الأعراف:63) " أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجيب أن يوحى الله إلى رجل منكم رحمة بكم و لطفاً وإحساناً إليكم؛ لينذركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به"⁽¹⁾. ووجه الرحمة بإرسال رجل من قوم نوح إليهم، أي بإرسال رسول إليهم من البشر وليس من الملائكة؛ أنَّ البشر لا يطبقون رؤية الملائكة في صورتهم الأصلية، لأنَّ البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة في حالتهم التي خلقوا عليها، ولهذا لو أرسل الله تعالى رسولاً من الملائكة لجعله رجلاً أي في صورة رجل حتى يمكن للبشر أن يروه ويسمعوا منه، عند ذلك يعتقدون أنه بشر وليس ملكاً، فلا يتحقق ما يريدونه من أن يكون الرسول ملكاً قال تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ) [الأنعام:9] أي لو جعل الله تعالى الرسول المبعوث إلى البشر ملكاً لجعل الله تعالى هذا الملك متمثلاً في صورة بشر لتمكينه من رؤيته وسماع كلامه الذي يبلغه عن الله تعالى، ولو جعله الله تعالى ملكاً في صورة بشر لاعتقدوا أنه بشر؛ لأنهم لا يدركون منه إلا صورته وصفاته البشرية التي تمثل بها، وحينئذ يقعون في اللبس نفسه والاشتباه الذي يلبسونه على أنفسهم باستنكار جعل الرسول بشراً، ولا ينفكون يقترحون جعل الرسول ملكاً، ولا يمكن أن يأتيهم إلا في صورة بشر، فلا يعتقدون أنه ملك، وهكذا يبقى الاشتباه عليهم، وكانوا في غنى عن ذلك لو آمنوا أن إرسال الرسول من البشر هو من رحمة الله بهم وإحساناً إليهم حتى يمكنهم أن يسمعوا منه ويفهموه، وبهذا يحصل مقصود النبوة والرسالة⁽²⁾.

الشبهة الثالثة: أتباع نوح هم الأرذلون.

قال تعالى: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ ...) [هود:27].

الملا هم السادة والكبراء والرؤوساء والأشراف من الكافرين من قوم نوح U ، فهوؤلاء قالوا لنوح U رداً لدعوته: (مَا نَرَلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا) (وَمَا نَرَلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا) أي أرادونا وأحساؤنا، ومن هم دون طبقة الأشراف والأكابر، والذين لا حسب لهم ولا مال ولا جاه، أي الفقراء والضعفاء والخسيسو الصناعات، و لم يتبعك

1- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (224/2) .

2- انظر. المنار. تفسير القرآن الحكيم(315/7).

الأشراف والرؤساء منا، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن اتباعهم لك عن ترو منهم، ولا فكر ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجاوبك فاتبعوك ولهذا قالوا: (وَمَا نَرَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ...) أي اتبعوك حين ابتدعوا ينظرون وما احتاطوا في ذلك الرأي، وما أعطوه حقه من الفكر الصائب والتدبر الوافي، ولو أنهم أمعنوا النظر والفكر لم يتبعوك⁽¹⁾. وقال تعالى في سورة الشعراء عن الملائكة من قوم نوح و ما قالوه له: (قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) [الشعراء:111] " أي أنصدق قولك وقد اتبعك الأردلون أي أنؤمن لك نحن واتباعك الأردلون فنعدّ منهم "⁽²⁾، وهكذا قال غيرهم ومن بعدهم مثلاً للرسول p... الخ. الرد على هذه الشبهة:

قال نوح u في رد هذه الشبهة كما حكاها الله عنه: (وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآبِ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلِيَكْفِي أَرْكَمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ﴿٣٠﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) [هود:29-31].

والمعنى أن نوحاً u قال لقومه: أنا لا أطلب مالاً منكم على تبليغكم رسالة ربي حتى يتفاوت الحال عندي بسبب كون المستجيب للدعوة فقيراً أو غنياً، وإذا كان الأمر كذلك فسواء أكانوا فقراء أم أغنياء، فأنا ادعوهم، و من يستجيب فهو من أتباعي و جلسائي فقيراً كان أو غنياً. وكان القوم سألوا نوحاً u أن يطرد الذين آمنوا عن مجلسه فقال لهم: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلِيَكْفِي أَرْكَمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) أي ليس من شأنني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من قربي وجواري، لاحتقاركم لهم ووصفكم إياهم بالأراذل

1- انظر. الرازي. التفسير الكبير(17/212-213)، والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن (9/23)، وابن كثير. تفسير القرآن العظيم(2/442)، والمنار. تفسير القرآن الحكيم (12/61)، وجاد المولى. محمد أحمد. قصص القرآن(جزء واحد) دار النصر(دمشق- بيروت) ط1: 1404هـ-1984م.(ص:16).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (13/119-120).

جهلاً منكم بقدرهم ومنزلتهم عند الله الذي سيقولونه، فيكون نوحاً U قد قال هذا على وجه الإعظام لهم بقاء الله Y وبمنزلتهم العالية عنده تعالى، ويمكن أن يكون نوح U قد قال هذا على وجه الاختصاص، أي لو فعلت ذلك وطردتهم من قربي ومن مجلسي لخاصموني عند الله تعالى، فيجازيهم على إيمانهم بأحسن الجزاء، ويجازي من طردهم بما يستحقه من العقاب.

ثم أكد نوح U عزمه على عدم طرد الذين آمنوا فقال: (وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَّانِبِيكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) "أي من ينصرني من عذاب الله إن طردتهم بعد أن آمنوا بي واتبعوني فيما أبلغهم عن الله، أفلا تتذكرون؟ أي أتصرون على جهلكم وطلبكم في طردهم ولا تتذكرون أن لهم رباً ينصرهم وينتقم لهم" (1).

ثم أكد نوح U هذا البيان بوجه آخر فقال: (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ)، أي " ولم أقل لكم إن خزائن رزق الله - تعالى - وماله عندي حتى أنكم تتازعون في ذلك وتتكبرونه" (2)، (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) أي " ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني" (3)، (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) "أي لا أقول إن منزلتي عند الناس منزلة الملائكة" (4).

ثم أكد نوح U عزمه على عدم طرد الذين آمنوا بقوله: (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ)، وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون أتباع نوح مع الفقر والذلة إلى النفاق، فقال: إني لا أقول ذلك لأنه من باب الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، وعلى هذا فأنا " لا أقول عن هؤلاء الذين تحقرونهم وتزدرونهم إنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، والله تعالى أعلم بما في نفوسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنی، ولو قطع لهم احد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالماً قائلاً ما لا علم له به" (5).

الشبهة الرابعة: لا فضل لنوح ولا للمؤمنين .

1- المنار. تفسير القرآن العظيم (66/12) بتصرف.

2- الألوسي. روح المعاني. (42/12) بتصرف.

3- المنار. تفسير القرآن العظيم (43/12).

4- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (27/9).

5- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (444/2).

و قال -تعالى- حكاية عن قول قوم نوح لنوح وأتباعه [...وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] [هود:27] "أي وما نرى لك ولمن اتبعك علينا أدنى فضل تمتازون به كالقوة والكثرة والعلم والرأي يحملنا على إتباعكم، والنزول عن جاهنا وامتياننا عليكم بالجاه والمال"⁽¹⁾. و قولهم: [بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ] "أي:كاذبين في جملتكم:نوح في دعواه النبوة، وأتباعه في تصديقه"⁽²⁾.

الرد على هذه الشبهة:

وشبهتهم هذه تدل على جهلهم لأن الفضيلة المعتبرة عند الله هي بالعلم والعمل، فكيف اطلعوا على قلوب الخلق وعرفوا ما فيها حتى نفوا هذه الفضيلة؟ إن سبب جهلهم ما لنوح وأتباعه من فضل هو عنادهم واستكبارهم وأهواؤهم، ولو تجردوا من ذلك لعلموا كم أتاهاهم من فضله: فقد أعطى الله لنوح النبوة، ووفق أتباعه إلى تصديقه والإيمان بما جاء به من ربه. وقولهم: [بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ]، فهذه تهمة أخرى يقذفون بها في وجه الرسول الكريم وأتباعه. ولكنهم على طريقتهم الطبقية يلقونها في أسلوب التحفظ اللائق بطبقتهم [بَلْ نَظُنُّكُمْ] لأن اليقين الجازم في القول والاتجاه من طبيعة الجماهير المندفعة التي لا تتروى ولا تفكر في إتباع الدعوات، وهذا ما يترفع عنه السادة المفكرون المتحفظون. إنه النموذج المتكرر من عهد نوح U، لهذه الطبقة المليئة الجيوب الفارغة القلوب، المتعاطمة المنتفخة.

الشبهة الخامسة: أنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم:

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ^ط أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾] فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم(61/12) .

2- المصدر السابق.

الْأُولَئِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَبُّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ [المؤمنون: 23-25].

وقولهم: [أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ] أي يريد أن يرتفع عليكم على سبيل التجبر والتكبر، ويسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعاً ونحن له تبع⁽¹⁾ "بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم، فكيف أوحى إليه من دونكم"⁽²⁾. ما سمعنا بهذا أي ما سمعنا بمثل دعوته في آبائنا الأولين، أي في الأمم السابقة، فهو رجل به جنة أي جنون يجعله لا يدري ما يقول⁽³⁾. " فهو مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي [فَتَرَبُّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ] أي انتظروا موته واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه"⁽⁴⁾.

رد هذه الشبهة:

يريد التكبر عليهم بدعوى النبوة، زعم باطل وإنما يريد هدايتهم، و تبليغ U زعمهم أن نوحاً رسالة ربه إليهم، وهذا في مصلحتهم، وإرادة الخير لهم، فيجب الانقياد إليه. والحقيقة أن سبب زعمهم هذا هو أنهم ينكرون نبوة نوح، وبإنكارهم نبوته يحملون دعوته على إرادة السيادة و التكبر عليهم. وقولهم: إنه به جنة، قد يكون اتهامهم له بالجنون لأنه يخبرهم بأمر لا عهد لهم بها من أمور الغيب، فيردون ذلك إلى أنه اختلاط في عقله. أو أنه كان يخبرهم بأمر مستقبلية فتقع، وعرفوا صدقها، فعزوا ذلك إلى أنه إخبار من الجن وليس من الوحي. أو لغرابة سلوكه وسيرته مع ربه ومع الناس اتهموه بالجنون، وقد يكون لهذه الأمور جميعها. وهذا قول باطل وكذب، لأنهم كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله، ولأن الله تعالى لا يرسل مجنوناً.

انقطاع حجة قوم نوح:

و لما لم يبق لقوم نوح ما يتحججون به من حجج باطلة في مواجهة نوح U، انقلبوا إلى التهديد، وإخافة نوح بالأذى، أو حتى بالقتل إذا استمر في دعوته، ودم ما هم عليه من كفر وشرك، قال تعالى في بيان الحالة التي وصل إليها أولئك الكفرة من قوم نوح: [قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] [الشعراء: 116] أي لئن لم تنته يا نوح عن سب

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(118/12).

2- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(244/3-245).

3- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(119/12).

4- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(245/3).

آلهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين بالحجارة، وقال ابن عباس: من المقتولين⁽¹⁾. وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية " أي لئن لم تنته من دعوتك إيانا إلى ذلك لتكونن من المرجومين أي لنرجمنك "⁽²⁾.

وهذا يدن من يفقد الحجة والدليل القاطع والبرهان الساطع فيلجأ إلى التهديد والوعيد.

المبحث الثاني: مصير قوم نوح ٥.

تمهيد: سبب إهلاك الأمم .

إن سنة الله في هلاك الأمم الظالمة سنة مطردة، والواقع أن القرآن الكريم يبين لنا في أكثر من آية أن (الظلم) سبب مؤكد لهلاك الأمم، وأن هذا الهلاك هو من مقتضيات ولوازم سنة الله في الظلم والظالمين. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: [وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا...] [يونس:13] " أي أهلكتناهم لما كفروا وأشركوا "⁽³⁾.

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الله أهلك قوم نوح بالغرق بسبب ظلمهم وقال -تعالى- بعد هلاكهم: [...وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [هود:44]. " أي هلاكاً وسحقاً لهم وبعداً من رحمة الله -تعالى- بما كان من رسوخهم في الظلم و استمرارهم عليه "⁽⁴⁾. وقال -تعالى- مبيناً هلاك قوم نوح بالغرق وأنه بسبب ظلمهم: [...فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] [العنكبوت:14].

ومما لاشك فيه أن هلاك الأمم الظالمة له أجل محدود، بمعنى أن بقاء الأمة الظالمة بقاء محدود المدة إذا انقضت هذه المدة جاء أجلها فتهلك كما يهلك الإنسان ويموت إذا حان أجله بمضي مدة عمره. وتوضيح ذلك أن الظلم في الأمة كالمرض في الإنسان يجعل في مدته بعد أن يقضي المدة المقدره له وهو مريض. وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذاك الظلم في الأمة يجعل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة معينة يعلمها الله -سبحانه وتعالى- .

1- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(121/13)، وابن كثير. تفسير القرآن العظيم(342/3).

2- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(341/3) .

3- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (317/8).

4- المنار. تفسير القرآن الحكيم (80/12).

قال تعالى: [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] [الأعراف:34]. قال الألوسي في تفسير هذه الآية: "أي لكل أمة من الأمم الهالكة أجل أي وقت معين مضروب لاستئصالهم" (1). وهذا ما رأيناه في هلاك قوم نوح حيث جعل بدء وقت هلاكهم فوران الماء في التتور، قال- تعالى-: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...] [هود:40]

المطلب الأول: صنع السفينة وبدء الطوفان. الفرع الأول: صنع السفينة.

لقد كان في استعجال قوم نوح نزول العذاب، وملتهم من كثرة جدال نوح، دلالة واضحة على أنهم لا يزالون مستمرين على تكذيب نوح، واتهامه بكذب ما يعدهم من العذاب، وأنهم لم يتزحزحوا عن كفرهم وضلالهم مما أدخل الأسي إلى قلب نوح "وبعد أن أياسه الله من إيمانهم" (2). وقد تأكد هذا اليأس من إيمان قومه بما أخبره الله به بقوله تعالى: [وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَأْمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] [هود:36]، أي لا تحزن ولا تغتم بما كانوا يفعلونه من تكذيبك، وإيذائك وإيذاء من آمن بك، فأرح نفسك بعد الآن من جدالهم وإعراضهم عن دعوتك، فقد حان زمن الانتقام منهم (3). فلما أخبره الله بذلك دعا نوح عليهم بما أخبرنا الله به [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا] [نوح:26]، قال الإمام القرطبي في هذه الآية: "دعا عليهم حين ينس من إتباعهم إياه، ونقل قتادة والضحاك أنه: دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه [لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَأْمَنَ]" (4) وذكره الرازي في تفسيره عن ابن عباس (5).

1- الألوسي. روح المعاني (112/8).

2- الأندلسي. أبو حيان محمد بن يوسف (ت:754هـ) البحر المحيط في التفسير (11مج) دار الفكر (بيروت) (بلا) ط:1412هـ-1992م. (148/6).

3- انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (30/9)، والرازي. التفسير الكبير (221/17)، والمنار. تفسير القرآن الحكيم (73/12).

4- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (312/18).

5- انظر. الرازي. التفسير الكبير (220-221/17).

وقد أخبر الله تعالى نبيّه نوحاً ٥ أن إهلاكهم سيكون بالغرق وأمره بصنع السفينة؛ ليركبها هو والمؤمنون للنجاة بها من الغرق، قال تعالى مخاطباً نبيه نوحاً [وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] [هود:37]، و [الْفُلَّكَ] هو السفينة، ويطلق على الواحد والجمع. فمن إطلاقه على السفينة قوله تعالى: [وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا]. ومن إطلاقه على الجمع قوله تعالى: [... وَتَرَى الْفُلَّكَ مَوَاجِرَ فِيهِ...] [النحل:14].

وصار المأ من قومه يمرون عليه، ويسخرون منه، ويتكلمون عليه [وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ...] [هود:38].

وكان نوح ٥ يجيبهم: [...إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] [هود:38-39].

وصنع نوح السفينة كما أمره الله-تعالى-، وكل ما يتعلق بالسفينة مبهم في الكتاب والسنة، لم تبينه ولم تفصله الآيات والأحاديث الصحيحة. وكل ما ورد عن السفينة هو من الإسرائيليات، إذ لا ينفعا معرفتها ولا يضرنا عدم العلم بها. جاء في البحر المحيط: "واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول، وفي مقدار مدة عملها، وفي المقدار الذي عملت فيه، ومقدار طولها وعرضها على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء" (1). وقال الفخر الرازي: "واعلم أن هذه المباحث لا تعجبني، لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً" (2).

وإننا لا نجد وصفاً لسفينة نوح ٥ إلا ما أشار القرآن إليها بأنها [... الْفُلَّكَ] ونون الْمَشْحُ [يس:41] والمشحون أي: المملوء الموقر (3)، وبأن صناعتها بوحي من الله

1- الأندلسي. البحر المحيط(6/150).

2- الرازي. التفسير الكبير (17/224).

3- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن(15/34).

والإهام: [وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا] [هود:37] وبأنها ذات ألواح خشبية، وذات مسامير تثبت هذه الألواح بعضها ببعض، قال- تعالى-: [وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسْرٍ] [القمر:13] (1).

والدُّسر هي المسامير. قال الإمام الراغب في المفردات: "أي: مسامير، الواحد دِسَار. وأصل الدُّسر: الدفع الشديد بقهر، يقال: دَسَرَهُ بالرمح" (2).

وأنها كذلك آية وعبرة للعالمين قال -تعالى-: [... وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ] [العنكبوت:15] وقال تعالى في سورة القمر: [وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ] [القمر:15] وقوله: [... وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ] الضمير للسفينة. ومعنى كونها آية أنها دليل على وقوع الطوفان عذاباً من الله للمكذابين الرسل، فكانت السفينة آية ماثلة في عصور جميع الأمم الذين جاءتهم الرسل بعد نوح موعظة للمكذابين وحجة للمؤمنين" (3). وقد أبقى الله بقية السفينة إلى صدر الأمة الإسلامية فقد روى الإمام البخاري في صحيحه فقال: (قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أوائل هذه الأمة) (4). "ويجوز أن يكون ضمير النصب في [وَجَعَلْنَاهَا] عائداً إلى الخبر المذكور بتأويل القصة أو الحادثة" (5).

ويرى ابن كثير أن قول قتادة لا يعني أن الله أبقى خشب سفينة نوح U على جبل الجودي هذه الفترة الطويلة من الزمن، حتى رآه أوائل الصحابة الذين وصلوا إلى ذلك المكان. قال ابن كثير-رحمه الله-: "والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى: [وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ] [يس:42]، وقال تعالى: [إِنَّا لَمَّا طَعَا أَلْمَاءُ حَمَلنَكُم فِي الْجَارِيَةِ] [الحاقة:12]، ولهذا قال هاهنا [... فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ]

1- انظر. الزحيلي. التفسير المنير(8/253).

2- الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن(ص:314).

3- ابن عاشور. التحرير والتنوير(20/147).

4- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب تفسير القرآن. باب (تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر) برقم(4868)(3/62).

5- ابن عاشور. التحرير والتنوير(20/147).

[القمر:15] أي فهل من يتذكر ويتعص ؟⁽¹⁾. وهذا قول حسن وتأويل جيد ومقبول من ابن كثير - رحمه الله -.

والراجح أن الضمير عائد إلى السفينة. وأن أوائل الصحابة قد أدركوها وشاهدوها وذلك لأن الترك في قوله: [وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ] كناية عن الإبقاء وعدم الإزالة، قال تعالى: [وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَتَخَفُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] [الذاريات:37]، ولأن الحديث كذلك ينص صراحة على أن المقصود هي السفينة وليس الحادثة أو القصة. وبعد أن أدى نوح ٧ كل ما عليه، وبعدما استنفذ طاقته ووسعه، وبعد أن مكث يدعوهم حوالي ألف سنة، ثم كانت النتيجة [وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] [هود:40]. عندها لجأ نوح إلى ربه واستنصره عليهم.

وقد سجل القرآن الكريم هذا اللجوء والاستنصار من نوح ٧ لربه، قال تعالى: [وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] [نوح:26-27].

وقال تعالى: [قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَجِنِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] [الشعراء:117-118].

وقال تعالى: [قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ] [المؤمنون:26].

وقال تعالى: [وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] [الصافات:75-76].

وقال تعالى: [فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ] [القمر:10].

لقد أدى نوح ٧ ما عليه والقوم قد غلبوه، ومع ذلك لم يتخل عن الحق، ولم يتوقف عن الدعوة.

(فانتصر): أي انتصر يا رب لرسولك الذي كذبوه، وانتصر لدينك الذي حاربوه، وانتصر لأوليائك الذين اضطهدوهم، وانتصر للحق الذي أنكروه⁽¹⁾.

1- الصابوني. محمد علي. مختصر تفسير ابن كثير (3مج) دار التراث العربي للطباعة والنشر (القاهرة) (بلاط): 1407هـ-1987م (410/3).

وهذا دعاء المؤمنين الصادقين، والدعاة المخلصين على مر العصور والأزمان: اللهم انتصر لنا يا ربنا من أمثال هؤلاء، وأنصفنا منهم، وانصرنا عليهم، واجعلهم مهزومين مغلوبين.

الفرع الثاني: بدء الطوفان.

قال تعالى: [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ] [هود:40-41].

وقال تعالى: [فَدَعَا رَبُّهُ رُبِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠١﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١٠٢﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ [القمر:10-12].

فقد كانت علامة بدء الطوفان فوران الماء من التنور. والتنور: "الفرن الذي يخبز فيه، وسمي (تنوراً) لأن النار تكون موقدةً مشتعلةً فيه"⁽²⁾.

وذكر القرطبي انه اختلف في معنى التنور على سبعة أقوال:

" الأول: أنه وجه الأرض، العرب تسمي وجه الأرض تنوراً. الثاني: أنه تنور الخبز الذي يخبز فيه . الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة. الرابع: انه طلوع الفجر، ونور الصبح . الخامس: أنه مسجد الكوفة. السادس: أنه أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة منها. السابع: أنه العين التي بالجزيرة(عين الوردة)"⁽³⁾.

وقد رجح الفخر الرازي القول الثاني من هذه الأقوال فقال: " فإن قيل: فما الأصح من هذه الأقوال؟ قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه، ولا امتناع في العقل في أن يقال: إن الماء نبع أولاً من موضع معين وكان ذلك الموضع تنوراً.

فإن قيل: ذكر التنور بالألف واللام، وهذا إنما يكون معهود سابق معين معلوم عند السامع وليس في الأرض تنوراً هذا شأنه، فوجب أن يحمل ذلك على أن المراد إذا رأيت الماء يشتد نبوعه والأمر يقوى فانج بنفسك وبمن معك.

1- انظر. ابن عاشور. التحرير والتنوير(175/27).

2- ابن منظور. لسان العرب(95/4).

3- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (34-33/9).

قلنا: لا يبعد أن يقال: إن ذلك التتور كان لنوح ٧ بأن كان تتور آدم أو حواء أو كان تتورا عينه الله تعالى لنوح ٧ وعرفه أنك إذا رأيت الماء يفور فاعلم أن الأمر قد وقع، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره. وبهذا قال جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس و الحسن ومجاهد. (1).

وهذا القول في معنى التتور هو القول الراجح- والله أعلم- وقد رجح هذا المعنى شيخ المفسرين ابن جرير الطبري- رحمه الله-، فبعد أن ذكر الإمام الطبري أقوال السلف في المراد بالتتور قال: "وأولى هذه الأقوال عندنا قول من قال: هو التتور الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله يُحمل على الأغلب الأشهر" (2).

" والله حكمة بالغة في جعل علامة الطوفان فوران الماء من التتور؛ لأن المعروف عند الناس أن الماء يطفئ النار، فعندما تشتعل النار في شيء يقومون بسكب الماء عليها بإطفائها. فكيف يفور هذا الماء من وسط التتور الموقد بالنار؟ وكيف يلتقي الماء مع النار وسط التتور؟. هكذا بدأ الطوفان، فوجه الأرض كله عيون متفجرة بالماء الغزير، والسماء كلها أبواب يهطل منها الماء المنهمر، فالتقى على قوم نوح الكافرين ماء السماء وماء الأرض، وارتفع الماء عليهم، وصار يعلو ويعلو، حتى أصبح أمواجاً كالجبال" (3).

وهنا يوجه نوح القلة المؤمنة بأن [أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ

رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] [هود:41]. وهذا تعبير عن تسليمها للمشئة في جريانها ورسوها، فهي في رعاية الله وحماه. وماذا يملك البشر من أمر الفلك في اللجة الطاغية بله الطوفان؟! (4).

المطلب الثاني: حدوث الطوفان.

بعدما فار الماء من وسط التتور، امتد هذا الفوران ليشمل باقي المناطق على وجه الأرض، وفجر الله وجه الأرض عيوناً فواراً بالماء الغزير، وتحول وجه الأرض إلى عيون تقور بالماء، والتقى الماء المتفجر بعضه مع بعض، وامتلاً وجه الأرض بالماء!. ثم أمر الله سبحانه السماء أن ترسل الماء إلى الأرض، وكأن السماء تحولت إلى أبواب مشرعة ينهمر منها الماء إلى الأرض ليلتقي مع ذلك الماء المتفجر من عيون الأرض!.

1- الرازي. التفسير الكبير (17/225-226).

2- الطبري. جامع البيان (12/40).

3- الخالدي. القصص القرآني (1/191-192).

4- قطب. في ظلال القرآن (4/1878).

وكان الله - سبحانه - قد أمر نوحاً قبل ذلك أن يجهز حمولة السفينة ويهيئ ركبها، فإذا ما جاء أمر الله وفار التتور دخلوا السفينة فوراً.

" وقد أمر الله نوحاً بأن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الأشياء: (الأول) قوله: [قُلْنَا

أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] والمقصود بالزوجين كل شئئين يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى، و التقدير: كل شئئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين: واحد ذكر والآخر

أنثى. (الثاني): [وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] المراد ابنه وامرأة نوح فقد كانا

كافرين حكم الله عليهما بالهلاك. و(النوع الثالث) من تلك الأشياء قوله: [وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا

ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ]⁽¹⁾، فلما حمل نوح في السفينة من أمره الله بحملهم فيها، قال كما

أخبرنا الله: [وَقَالَ أَرَكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَجْرَتَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ...] [هود: 41-42].

المطلب الثالث: انتهاء الطوفان واستواء السفينة.

لقد أغرق الله قوم نوح بالطوفان، وذلك بسبب كفرهم ومعاصيهم، ولم ينصرهم أحد من دون الله. قال تعالى: [مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَنْصَارًا] [نوح: 25]. وقال تعالى: [فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٦١﴾ ثُمَّ

أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ] [الشعراء: 119-120]. وقال تعالى: [فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي

الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَهُ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُنذَرِينَ] [يونس: 73].

"وتهدأ العاصفة، ويخيم السكون، ويقضى الأمر، ويتمشى الاستقرار كذلك في الألفاظ في

إيقاعها في النفس والأذن: [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ^ط وَقِيلَ بَعْدَ لِّلْقَوْمِ الظُّلُمِينَ] [هود: 44]. ويوجه

1- الرازي. التفسير الكبير (17/226-228).

الخطاب إلى الأرض والسماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاها للأمر الفاصل فتبلع الأرض، وتكف السماء. [وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلِي] [وَغِيضَ الْمَاءِ] أي ابتلغته الأرض في جوفها وغار من سطحها. [وَقُضِيَ الْأَمْرُ] أي ونفذ القضاء. [وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ] أي ورسد رسو استقرار على جبل الجودي، [وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] وهي جملة مختصرة حاسمة معبرة عن جوها أعمق تعبير. [قِيلَ] على صيغة المجهول فلا يذكر من قال، من قبيل لف موضوعهم ومواراته.

[وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] أي بعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمة الله فقد لعنوا، وبعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا، وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكراً! (1).
نوح ينادي ابنه للركوب في السفينة:

قال تعالى: [...وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ] [قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ] قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ [هود: 42-43] "أي ونادى نوح ابنه وكان في معزل عن السفينة، ولم يكن يعلم نوح أن ابنه كان كافراً، وظن أنه مؤمن ولذلك قال له [وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ] . قال: ساوي إلى جبل يمنعني من الماء فلا أغرق. قال نوح: لا مانع اليوم من الغرق، لكن من رحمه الله فهو يعصمه من الغرق. وحال بينهما الموج يعني بين نوح وابنه فكان من المغرقين" (2).

نداء نوح ربه بشأن ابنه:

والآن وقد هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت على الجودي. الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع [وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ] [قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

1- قطب. في ظلال القرآن (1879/4).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (38/9-40).

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ [هود:45-47].

ذهب الإمام ابن كثير في تفسيره إلى أن هذا النداء من نوح لربه هو سؤال عن حال ولده الذي غرق مع أنه من أهله، قال ابن كثير: "هذا سؤال استعلام وكشف من نوح ٧ عن حال ولده الذي غرق [فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] أي وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ [قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] أي ليس من الذين وعدت بنجاتهم، لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال: [وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] [هود:40]. فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق، لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً⁽¹⁾. "والسبب (إنه عمل غير صالح) كأنه لفساده واجتنابه للصالح والتزامه العمل غير الصالح، كأنه صار نفس العمل غير الصالح ومن المعلوم أن الكفر يقطع الولاية بين المؤمنين و الكافرين من الأقربين، ويوجب براءة بعضهم من بعض"⁽²⁾.

فكان ابن نوح لم يعد من أهله لكفره، قال الإمام الرازي: "وهذه الآية [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] تدل على أن العبرة بقراءة الدين لا بقراءة النسب، فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انفتت قرابة الدين لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ]"⁽³⁾. "وقد يقال كيف وقع هذا الدعاء من نوح؟ أي دعاؤه ربه أن ينجي ابنه، وقد علم أن الذين سبق عليهم القول هم الكافرون الذين قضى الله بهلاكهم، وكان ابنه منهم، ولا يعقل أن يخفى عليه أمره؟ والجواب يحتمل أن نوحاً حين رأى ابنه بمعزل عن الكفار ظن أنه جنح إلى الإيمان، وصار من أهله الذين وعد الله بنجاتهم. ويحتمل أن يكون قد فهم أن ابنه غير داخل في عموم قوله تعالى: [أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ] [هود:36]، لأنه تعالى جعل الناجين صنفين: أهله إلا من استثنى، ومن آمن من قومه.

1- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (2/446-447).

2- المنار. تفسير القرآن الحكيم (12/84).

3- الرازي. التفسير الكبير (17/2).

فجاز في فهمه U أن يؤمن من أهله من كان كافراً، لأنهم صنف قائم بذاته، وليسوا قسماً من الصنف الآخر، وهم المؤمنون من قومه، ووافق هذا الفهم وقواه رحمة الأبوة وشفقتها، فسأل الله تعالى ما سأله بشأن ابنه، فعاتبه الله تعالى على ذلك بقوله: [... فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...] [هود:46] أي لا تسألني في شيء من الأشياء ليس لك به علم صحيح أنه حق وصواب⁽¹⁾.

[إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] " أي أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك منه كراهية أن تكون من الجاهلين، أي الأثمين"⁽²⁾. [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَسِرِينَ] [هود:47]. والمعنى انه تعالى لما قال له: [... فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...] فكأنه قال عند ذلك: قبلت يا رب هذا التكليف ولا أعود إليه، إلا أنني لا أقدر على الاحتراز منه، إلا بإعانتك وهدايتك، فلهذا قال: [إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]، ثم أعلن توبته مما قاله، [وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَسِرِينَ]، لأن التوبة تقوم بأمرين:

(الأول): في المستقبل وهو العزم على الترك وإليه الإشارة في قوله: [إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]، و(الثاني) في الماضي وهو الندم على ما صدر منه، واليه الإشارة بقوله: [وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَسِرِينَ]⁽³⁾.

المطلب الرابع: آثار الطوفان وهل عمَّ الأرض أم لا ؟

للعلماء رأيان في عموم الطوفان الأرض، فقال جماعة: لقد عم جميع أنحاء الأرض، بدليل وجود بقايا حيوانية مائية في أعالي الجبال⁽⁴⁾.

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم (84/12-85).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (48/9).

3- انظر. الرازي. التفسير الكبير (5/18).

4- انظر. الطبري. جامع البيان (37/12)، والرازي. التفسير الكبير (6/18)، والشعراوي. تفسير الشعراوي (6479/11)،

والصابوني. مختصر ابن كثير (221/2).

وقال آخرون: لم يكن عاماً، وإنما كان على الجهة التي كان يسكنها نوح وقومه، وهي بلاد الشرق الأوسط وما جاورها⁽¹⁾.

ومن الذين قالوا بأن الطوفان عمَّ الأرض كلها الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى:

[قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَّمٌ

سَنُمِتُّهُنَّ ثُمَّ يَمْسُهُنَّ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] [هود:48].

فقال: "... والثاني: أن ذلك الغرق لما كان عاماً في جميع الأرض فعندما خرج نوح U من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان، فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكل والمشروب، فلما قال الله تعالى: [أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِّنَّا] [هود:48] زال عنه ذلك الخوف، لأن ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك إلا مع الأمن وسعة الرزق، ثم إنه تعالى لما وعده بالسلامة أردفه بأن وعده بالبركة وهي عبارة عن الدوام والبقاء، والثبات، ونيل الأمل " (2).

ومن الذين رجحوا هذا القول أيضاً الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير حيث قال: " ومن المعلوم أن البلاء يعم والرحمة تخص، والنقمة لا تقتصر على الظالمين، فتشمل الأطفال الأبرياء والوحوش والطيور: [وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...][الأنفال:25] " (3). [وَأَتَّقُوا فِتْنَةً] أي ذنباً. وفسر الذنب بإقرار المنكر في المجتمع،

والمداهنة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وظهور البدع والتكاسل عن الجهاد⁽⁴⁾.
ومن أصحاب الرأي الآخر عفيف طيارة حيث قال: " الظاهر في القرآن والحديث الشريف يدل على أن الطوفان كان شاملاً لقوم نوح فقط وهذا لا يقتضي أن يكون الطوفان عاماً للأرض إذ لا دليل على أن البشر كانوا يقطنون الأرض كلها بل كانوا منحصرين في منطقة معينة وهي التي عمها الطوفان " (5).

1- انظر. طيارة. مع الأنبياء في القرآن(ص:73)، وبوكاي. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة

(ص:167).نقلًا عن عباس. إعجاز القرآن الكريم(ص:151).

2- الرازي. التفسير الكبير(6/18).

3- الزحيلي. التفسير المنير(8/252).

4- انظر. الزمخشري. الكشاف(2/299)، والآلوسي. روح المعاني(9/192).

5- طيارة. مع الأنبياء في القرآن الكريم(ص:73).

وقد أيد هذا القول أيضاً موريس بوكاي في كتابه الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة حيث قال: "والقرآن حينما يتحدث عن كارثة الطوفان يتحدث عنها باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح، ولكن التوراة كما ذكرنا تجعله عقاباً عالمياً"⁽¹⁾. أما سيد قطب فقد اعتبر أن الإجابة عن هذا السؤال هو من قبيل الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً.

قال -رحمه الله-: "وبعد ... أكان الطوفان عاماً في الأرض؟ أم أنه كان في تخوم الأرض التي بعث فيها نوح؟ أين كانت هذه الأرض؟ وأين تخومها في العالم القديم وفي العالم الحديث؟ أسئلة لا جواب عليها إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً؛ وإلا الإسرائيليّات التي لا تستند إلى دليل صحيح وليس لها بعد ذلك قيمة في تحقيق أهداف القصص القرآني في كثير ولا قليل.

ولكن هذا لا يمنع من القول بأن ظاهر النصوص القرآنية يلهم أن قوم نوح كانوا هم مجموع البشرية في ذلك الزمان. وأن الأرض التي يسكنونها كانت هي الأرض المعمورة في ذلك الحين. وأن الطوفان قد عم هذه الرقعة، وقضى على جميع الخلائق التي تقطنها - فيما عدا ركب السفينة الناجية.

وهذا حسينا في إدراك طبيعة ذلك الحادث الكوني الذي جاءنا خبره من المصدر الوحيد الوثيق عن ذلك العهد السحيق، الذي لا يعرف (التاريخ) عنه شيئاً. وإلا فيومها أين كان (التاريخ)؟! إن التاريخ مولود حديث لم يسجل من أحداث البشرية إلا القليل! وكل ما سجله قابل للخطأ والصواب، والصدق والكذب، والتجريح والتعديل! وما ينبغي قط أن يستفتى ذات يوم في شأن جاءنا به الخبر الصادق. ومجرد استفتاءه في مثل هذا الشأن قلب للأوضاع، وانتكاسة لا تصيب عقلاً قد استقرت فيه حقيقة هذا الدين!

ولقد حفلت أساطير شتى الشعوب وذكرياتها الغامضة بذكر طوفان أصاب أرضها بتاريخ قديم مجهول، بسبب معصية ذلك الجيل الذي شهد ذلك الحادث الكبير.. وأساطير بني إسرائيل المدونة فيما يسمونه (العهد القديم) تحوي كذلك ذكرى طوفان نوح.. ولكن هذا كله شيء لا ينبغي أن يذكر في معرض الحديث القرآني عن الطوفان؛ ولا ينبغي أن يخلط الخبر الصادق الوثيق بمثل هذه الروايات الغامضة وهذه الأساطير المجهولة المصدر والأسانيد. وإن كان لوجود هذه الأخبار الغامضة عن الطوفان عند شعوب شتى دلالتها في أن الطوفان قد كان

1- عباس. إجاز القرآن الكريم (ص:151). وقد استوفينا الكلام عن الطوفان من خلال ما كتبه (موريس بوكاي) في الفصل الأول في المطلب الثالث عند الحديث عن البيئة والمكان اللذان عاش فيهما نوح .U. فليراجع هناك.

في أرض هذه الأقوام؛ أو على الأقل قد رحلت ذكرياته مع ذراري الناجين حين تفرقوا في الأرض بعد ذلك وعمرُوا الأرض من جديد" (1).

والذي يترجح لي - والله أعلم - أن الأرض يجوز أن يراد بها جميع الكرة الدنيوية، وأن يراد أرض معهودة للمتكلم والمخاطب كما في قوله تعالى: [قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ] والأرض هنا هي مصر.

ولا أستطيع أن أخفي ما بنفسني من ميل نحو ترجيح القول الثاني وهو أن الطوفان لم يكن عاما ولا شاملا للأرض، إنما كان شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم، وذلك في منطقة الشرق الأوسط، أما أجزاء الكرة الأرضية الأخرى فلا يدل نص قاطع في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف على تغطيتها بالطوفان.

1- قطب . في ظلال القرآن(4/1881).

الفصل الثالث

دعوة نوح U

المبحث الأول: نوح الداعية

المطلب الأول : أساليب الدعوة عند نوح U⁽¹⁾.

لقد قام نوح U بواجب الدعوة إلى عبادة الله وحده كما أمره الله، وذلك في قوله: [...]

أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [نوح:1].

وقد سلك نوح U- أو حاول أن يسلك - إلى آذان قومه، وقلوبهم، وعقولهم بشتى الأساليب، ومتنوع الوسائل في دأب طويل، وصبر جميل، وفي جهد نبيل امتد ألف سنة إلا خمسين عاماً، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلوا عن الباطل، ويتبعوا الحق، ومع ذلك كله لم يستجب له إلا القليل من قومه. ومن الأساليب التي اتبعها نوح U في دعوته:

أولاً: القول اللين :

خاطب نوح U قومه وهو يدعوهم إلى الله تعالى بما عسى أن يثير مشاعرهم نحوه فيقبلون عليه، ويقبلون منه ما يدعوهم إليه، خاطبهم بقوله " يا قوم " قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...] [الأعراف:59]. " أي فناداهم بصفة القومية مضافة إليه استمالة لهم"⁽²⁾ ، فهو يشعرهم بهذه الكلمة بأنهم قومه فهو منهم، والأصل أن الشخص يريد الخير لقومه، فعلى قومه أن يستمعوا لما يدعوهم إليه ويتأملوا فيه. وفي آية أخرى قال تعالى: [إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ] [الشعراء:106].

1- تكلم عن هذه الأساليب كل من. قطب. في ظلال القرآن(ص:3712-3716)، والقرضاوي. يوسف عبد الله. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة (جزء واحد) دار الشروق (القاهرة) ط1: 1424هـ -2004م(ص:29-50)، وزيدان. عبد الكريم. أصول الدعوة (جزء واحد) ط3: 1396هـ -1976م(ص: 405 وما بعدها)، وزيدان. السنن الإلهية(ص:119-122) ، وزيدان. عبد الكريم. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة(2مج) مؤسسة الرسالة(بيروت) ط1: 1421هـ-2000م(1/152 وما بعدها)، وصقر. عبد البديع. كيف ندعو الناس(جزء واحد) مكتبة وهبة(القاهرة) ط10: 1410هـ -1990م(ص: 32-34)، وعلوان. عبد الله ناصح. كيف يدعو الداعية(جزء واحد) دار السلام ط1: 1405هـ -1985م(ص: 10-42)، والخالدي. القصص القرآني(1/167-169)، وعباس. قصص القرآن الكريم(ص:191-194)، وعمارة. محمود محمد. فقه الدعوة من قصة موسى U (جزء واحد) مكتبة الإيمان (المنصورة) ط1: 1417هـ-1997م.(ص:163-165).

2- المنار. تفسير القرآن الحكيم (8/490).

فكلمة: (أخوهم) وهي تعني أخوة النسب لا الدين، نثير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتوحي لهم بأنه يريد لهم الخير، فهو ليس بعيداً عنهم ولا غريباً منهم، إنه أخوهم .

ثانياً: النصح لهم والحرص عليهم :

لم يكتف نوح بتلطفه في مخاطبة قومه وإنما أظهر لهم شفقتة وحرصه على نصحهم وإرادة الخير لهم، ومن مظاهر شفقتة عليهم، أنه أنذرهم من عذاب الله إن رفضوا دعوتة، والشفيق يحذر من يشفق عليه مما يضره، ومن أسباب هذا الضرر، قال تعالى مخبراً عن نوح: [

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ قَالَ

يَنْقَوْمُوا إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] [نوح:1-2]، يقول -تعالى- مخبراً عن نوح ٧ أنه أرسله إلى

قومه أمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا وقبلوا دعوة نوح رفع عنهم ما أنذرهم به⁽¹⁾، قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] [الأعراف:59]، أي أخاف

عليكم من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به⁽²⁾. ولما ردّ الملائمة من قومه وهم

السادة والكبراء والقادة على نوح ٧ بقولهم: [إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [الأعراف:60] قال

لهم نوح ٧: [قَالَ يَنْقَوْمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ

رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] [الأعراف:60-61]، فقول

نوح ٧ [وَأَنْصَحُ لَكُمْ] أي أقصد صلاحكم بإخلاص⁽³⁾، [وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

[أي أعلم من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا من طريق الوحي، أعلم أشياء لا علم لكم بها،

وأعلم من قدرة الله وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين الكافرين ما لا

تعلمونه أنتم⁽⁴⁾.

1- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (4/424).

2- المصدر السابق (2/223).

3- القاسمي. محاسن التأويل (7/160).

4- المصدر السابق.

قال ابن كثير: " وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً مبيّناً في تبليغه ناصحاً لقومه عالماً بالله لا يدركه أحدٌ من خلق الله في هذه الصفات"(1).

ثالثاً: تخير الأوقات والكيفيات المناسبة:

وكان نوح ٧ يغتنم كل فرصة ليدعو قومه إلى الله، سواء سنحت له هذه الفرصة في ليل أو نهار، كما أنه ٧ كان ينوع صيغ وكيفيات دعوته لهم، فكان يدعوهم جهاراً وسراً وعلانية على أمل أن تتجح معهم هذه الأساليب فيستجيبوا لدعوة نوح قال تعالى: [قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً...] إلى قوله تعالى: [ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً] [نوح:5-9] أي دعوتهم مرة بعد مرة ليلاً ونهاراً على وجوه متنوعة ما بين مجاهرة وإظهار بلا إخفاء، وما بين إعلان وصياح بهم، وما بين إسرار فيما بيني وبينهم في خفاء(2). وهذه المراتب التي سار معها نوح كانت على النحو التالي:

أ- أسلوب الجهر بالدعوة .

فمن الأساليب التي اتبعتها نوح ٧ أسلوب الجهر بالدعوة وهو: الدعوة الجماهيرية العامة على المستوى الاجتماعي، في المؤتمرات واللقاءات. وهذا ما يوضحه قوله تعالى: [ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً] جهاراً، نعت لمصدر محذوف. أي دعاءً جهاراً. أو مصدر في موضع الحال، أي مجاهراً يعني أظهرت لهم دعوة الله في المجالس جهرةً ليسمعاها الناس(3).

ب- أسلوب الإعلان في الدعوة.

وهاهو نوح ٧ يستخدم أسلوباً آخر في الدعوة إلى الله تعالى، إنه يدعوهم الدعوة العلنية على المستوى الأقل والأضيق من الدعوة الجماهيرية: [ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ] أي كلاماً ظاهراً بصوت عال(4) .

1- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (223/2).

2- انظر. الفراء. أبو زكريا يحيى بن زياد (ت:207هـ) معاني القرآن (3مج) عالم الكتب(بيروت)ط2: 1980م (187/3).

3- انظر. السمين الحلبي. الدر المصون (6/383)، وابن عادل. أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت:880هـ). اللباب في علوم الكتاب (20مج) دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1419هـ - 1998م. تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. (301/18).

4- انظر. ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (8/246)، وابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير (8/125).

ج- أسلوب الإسرار في الدعوة .

وبعد أن بذل نوح ٧ جهده في دعوتهم جهراً وعلناً عاد ليدعوهم الدعوة السرية الخاصة، في اللقاءات الجانبية السرية الخفية: [وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا] أي وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء⁽¹⁾.

واعلم أن هذه الآيات تدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة، فبدأ بالمناسبة في السر، ثم تثنى بالمجاهرة، فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار، وكلمة (ثم) دالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض إما بحسب الزمان، أو بحسب الرتبة، لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الإسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده. وهذه المراتب والتنوع في أساليب الدعوة أقصى ما يمكن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يفعلها لتكون أنجع فيهم⁽²⁾.

رابعاً: الترغيب:

رغب نوح قومه في الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من أن الله تعالى سيغفر ذنوبهم، ويبارك في أعمارهم، وفي بركتها فرصة طيبة لهم؛ ليزدادوا من فعل الخير، وبمباركة أعمارهم، ومغفرة ذنوبهم منفعة مؤكدة لهم في الآخرة، قال تعالى مخبراً عن نوح ٧: [قَالَ

يَقَوْمِ إِنِّي كُنتُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۗ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

[نوح:2-4] أمرهم نوح ٧ بثلاثة أشياء: أن يعبدوا الله، ويتقوه، ويطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، ورغبتهم في هذه الأشياء الثلاثة بأنهم إن فعلوها غفر الله ذنوبهم، وبارك أعمارهم، وفي ذلك خير مؤكد ومنفعة لهم في الآخرة. فقوله: [أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ]

1- ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب (384/19)، وانظر الطبري. جامع البيان (93/29)، والفيروز آبادي. مجد الدين

محمد بن يعقوب (ت:813هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (6مج) المكتبة العلمية (بيروت) (بلاط).

تحقيق: عبد العليم الطحاوي (27/6).

2- انظر الأندلسي. البحر المحيط (282/10)، والزمخشري. الكشاف (162/4)، والرازي. التفسير الكبير (135/30)-

(136)، والقاسمي. محاسن التأويل (295/16).

يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...] "أي وُحِّدُوا الله وخافوه وأطيعون فيما أمرتكم به يغفر لكم ذنوبكم، ويبارك لكم في أعماركم" (1).

ثم وعدهم نوح ٧ أنهم إن استجابوا لدعوته، وعبدوا الله وحده، وتابوا إليه واستغفروه، فإن الله تعالى سيسبغ عليهم نعمه في الدنيا، وييسر لهم ما يحبونه من منافعها، وهذا تشجيع من نوح ٧ لقومه على طاعته، وترغيب لهم في الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من خيرات الدنيا ومتاعها. قال تعالى مخبراً عن نوح ٧: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] [

نوح:10-12]، فقله: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...]" أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان" (2). وقوله: [...إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] أي ترغيب منه لقومه بالتوبة. ثم رغبهم في الإيمان فقال: [يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا] أي يرسل ماء السماء؛ ففيه إضمار (3). قوله: [وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] يعني ويزدكم الله بالتوبة والاستغفار أموالاً وبنين في الدنيا، ويمن الله عليكم من فضله وواسع كرمه بجنات النعيم، تتفجر من خلالها ومن تحتها الأنهار سائحة جارية" (4). وفي هذه الآية دليل على أن الاستغفار يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ وَالْأَمْطَارُ (5).

خامساً: الترهيب:

ولم يقتصر نوح ٧ على أسلوب الترغيب في تبليغ دعوته إلى قومه وحثهم على الاستجابة لها، وإنما أخذ أيضاً بأسلوب الترهيب أي تخويفهم من العذاب في الدنيا والآخرة إن عصوه ولم يستجيبوا لدعوته، قال تعالى: [إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (299/18)، وانظر. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت:701هـ)

تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج) دار الفكر (بلاط) (294/2).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (301/18).

3- انظر. ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب (385/19)، والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن (301/18)، والغزالي.

محمد. مع الله (جزء واحد) المكتبة الإسلامية. ط5: 1401هـ-1981م. (ص:296 وما بعدها).

4- عبد العزيز. التفسير الشامل (6/3439).

5- انظر. ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب (385/19)، والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن (303/18).

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [نوح:1]، " قال مقاتل: يعني الغرق بالطوفان"⁽¹⁾، وهذا ترهيب لهم من عصيانه بعذاب الدنيا بالغرق. قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ

يَنْقَوْمُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ]

[الأعراف:59]، " أي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة إذا خالفتم أمري، ولقيتم الله وأنتم مشركون به"⁽²⁾. وهذا ترهيب لهم بعذاب الله يوم القيامة إن خالفوه، ولم يستجيبوا لدعوته، وقال تعالى عما قاله نوح ٥ لقومه: [مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا] [نوح:13] " أي ما لكم لا ترون لله عظمة. وقال ابن عباس: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، أي لا تخافون من بأسه ونقمته"⁽³⁾.

" وتأتي أهمية هذين الأسلوبين - الترغيب والترهيب - من كونهما استجابةً لقانون من قوانين النفس الإنسانية، فالإنسان يحب ما ينفعه، - وبالقوة نفسها - ينفّر مما يضره. والدعوة الناجحة هي التي تستثمر العاملين كليهما لمصلحة المدعو نفسه. إذن فهو مظهر من مظاهر واقعية المنهج الإسلامي.

ففي النفس عوامل كثيرة: عامل الخوف، وعامل الرجاء، وعامل الحب. والداعية الموفق من استطاع استغلال هذه الدوافع جميعاً في مزيج متكامل؛ أما التركيز على عامل وإهمال آخر فهو من الخطأ الذي لا ينبغي للداعية المؤمن أن يقع فيه"⁽⁴⁾.

الخلاصة:

إن نبينا نوحاً سلك في دعوته قومه إلى الله -تعالى- أساليب متعددة آملاً من وراء ذلك أن يستجيب قومه لما يدعوهم إليه، ولكن مع ذلك لم يستجب له إلا القليل منهم، وهذا يدل على أن أحقية الدعوة، وصحة أسلوب تبليغها لا يكفیان لاستجابة المدعوين وقبولهم بها، بل لابد من قابلية المدعوين إلى هذه الاستجابة.

ومن الملاحظ كذلك أن التأكيد على إخلاص العبودية لله، ظاهر بارز في جميع أساليب الدعوة عند نوح ٥، منها الآيات التي ذكرناها قبل قليل مثل قوله تعالى حكاية عن قوم نوح:

1- الرازي. التفسير الكبير (134/30)، وانظر. الأخفش. أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي

البصري (ت:215هـ) معاني القرآن (2مج) الصفاة (الكويت) ط:2: 1401هـ-1981م. تحقيق: د.فانز فارس، والقشيري.

أبو قاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:465هـ) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات (3مج) دار الكتب

العلمية (بيروت) ط:1: 1420هـ-2000م. تعليق: عبد الطيف حسن عبد الرحمن. (355/3).

2- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (223/2).

3- المصدر السابق (425/4).

4- عمارة. فقه الدعوة (ص:163).

[...قَالَ يَنْقَوْمِرِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ...][الأعراف:59] وقوله تعالى: [قَالَ يَنْقَوْمِرِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا] [نوح:2-3]. فنوح ٥ تلتطف مع قومه في صيغ الخطاب، ولكن مع وضوح إخبارهم بأن الله هو المعبود الحق وأن عليهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادته أحداً.

المطلب الثاني : عمر الدعوة ونتائجها.

الفرع الأول: عمر الدعوة.

بعد أن بين نوح ٥ لقومه فائدة الاستغفار وما يترتب عليه من السعادة الدنيوية وجه أنظارهم إلى قدرة الله لعلمهم يؤمنون، فقال الله مخبراً عن نوح: [مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] [نوح:13-14] أي كيف لا تخافون عظمة الله وسلطانه وقد خلقكم طوراً بعد طور بطريقة التدرج من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم كسا هذه المضغة عظاماً ولحماً⁽¹⁾.

ثم تابع نوح ٥ مخاطبتهم لافتناً أنظارهم إلى قدرة الله فوقهم قال تعالى: [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ

خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٧﴾

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَجَاجًا] [نوح:15-20] أي ألم تنظروا فوقكم

كيف خلق الله السماوات المطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في السماوات منوراً لوجه الأرض، من غير حرارة، وجعل الشمس مصدر الضوء كالسراج: وهو المصباح الذي يزيل ظلمة الليل، وينشر الحرارة والدفء⁽²⁾.

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (303/18) بتصرف .

2- الزحيلي. التفسير الوسيط (3/2745)، وانظر. الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (10مج) عالم الكتب(بيروت) (بلاط) (8/528-529)، ومتولي. أحمد مصطفى. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية (جزء واحد) دار ابن الجوزي (القاهرة) ط1: 1426هـ-2005م. (ص:57-58).

" و قد أثبت التقدم العلمي أن ضوء الشمس من ذاتها فهي سراج، وأما القمر فليس ضوءه من ذاته إنما هو قد أنير بضوء الشمس"(1).

وبعد أن أكثر نوح ٧ من تقديم الأدلة والبراهين لهم، وبعد أن أقام الحجة عليهم، ودفعهم بآيات الله الدافعة، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وعصوا أمره، واتبعوا الشياطين. ولم تترك دعوته ٧ في قومه إلا أثراً ضئيلاً.

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾] [العنكبوت: 14-15].

أي أن نوحاً ٧ لبث في قومه يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة(2)، وهذا يدلنا على أن فترة رسالته التي دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً. وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة، وأعقبها فترة كذلك بعد النجاة من الطوفان غير محددة. وهو عمر طويل مديد، يبدو لنا الآن غير طبيعي ولا مألوف في أعمار الأفراد. ولكننا نتلقاه من أصدق مصدر في الوجود - وهذا وحده برهان صدقه - فإذا أردنا له تفسيراً فإننا نستطيع أن نقول: إن عدد البشرية يوم ذلك كان قليلاً محدوداً، فليس ببعيد أن يعوض الله هذه الأجيال عن كثرة العدد طول العمر، لعمارة الأرض وامتداد الحياة . حتى إذا تكاثرت الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار، وهذه الظاهرة ملحوظة في أعمار كثير من الأحياء.

فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار، كما في النسور والزواحف كالسلحفاة. حتى ليبلغ بعضها مئات الأعوام. بينما الذباب الذي يتوالد الملايين لا تعيش الواحدة منه أكثر من أسبوعين، والله الحكمة البالغة. وكل شيء عنده بمقدار"(3).

وقد روعيت هنا نكتة لطيفة، وهي التعبير بالسنة عن المدة التي قضاها نوح ٧ في قومه؛ لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة، والتعبير بالعام عن المدة التي لم يكن مع قومه فيها والعام فيه معنى اليسر، كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي، والعام على القمري وهو أقل بأحد عشر يوماً، ففي السنة إشارة إلى الطول والشدة(4)، والعرب تعبر عن الخصب بالعام،

1- الزندانى. عبد المجيد عزيز. توحيد الخالق (جزء واحد) مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت) 4: 1411هـ-1991م (ص:356).

2- انظر. الرازي . التفسير الكبير(41/25)، والزحيلي. التفسير المنير(20/209).

3- قطب . في ظلال القرآن (5/2727).

4- عباس. قصص القرآن الكريم (ص:197).

وعن الجذب بالسنة. وذلك بيّن في قوله تعالى على لسان يوسف v: [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ] [يوسف:47] كان يقصد الأيام الشاقّة، كذلك قول رب العزة: [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ] [الأعراف:130] فهي أيام قحط وجفاف. وعندما ذكر سيدنا يوسف أيام الرخاء قال: [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ] [يوسف:49] كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي، والعام على القمري وهو أقل بأحد عشر يوماً، ففي السنة إشارة إلى الطول والشدّة. فما أجلّ هذه اللغة البيانية الرائعة! (1).

الفرع الثاني: نتائج الدعوة.

لقد بيّن الله تعالى أن نوحاً v دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فماذا كانت النتيجة، وماذا كانت الحصيلة؟
لقد تبذرت من خلال قصة نوح v ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة، فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم لم يؤمن معه إلا القليل.
قال تعالى: [... وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ] [هود:40]. فبعد أن أمر الله نوحاً v أن يحمل معه من آمن من قومه، بيّن أن الذين آمنوا من قومه هم قلة قليلة.
ولم يبيّن لنا الله تعالى ولا رسوله عددهم، فكل ما قاله المفسرون فيهم مردود لا دليل عليه (2)، فكما قال ابن جرير الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال تعالى: [وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ] يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن مبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله p" (3).
يقول الدكتور صلاح الخالدي: "بقي أن نقول: ما دلالة هذا القليل الذي آمن بنوح v؟".

3- انظر. ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب (325/15)، والسمين الحلبي. الدر المصون (361/5)، وخالد عمرو. قصص

الأنبياء (جزء واحد) دار المعرفة (بيروت) ط1: 1427هـ-2006م (ص:144).

2- انظر. الرازي. التفسير الكبير (228/17)، والمنار. تفسير القرآن الحكيم (76/12).

3- الطبري. جامع البيان (43/12).

إنه يدل - من جملة ما يدل عليه- على أن الأكثرية من الناس تتبع الباطل دائماً، وتسير مع الشيطان، وترفض الحق. وأن أنصار الحق دائماً قليلون من حيث العدد، وأن هذه القلة المباركة هي المؤثرة في الحياة، المقدمة عند الله. وقد قررت آيات القرآن هذه الحقيقة .

قال تعالى: [وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ] [يوسف:103].

قال تعالى: [... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]⁽¹⁾ [سبأ:13].

وهنا يتابع الدكتور صلاح الخالدي كلامه فيقول: " ونقف لنتساءل: هل قصر نوح U في الدعوة، ولم ينجح في تقديمها وعرضها، حتى كانت الحويلة بعد حوالي ألف سنة هذا العدد القليل؟ هل كان فاشلاً في الدعوة؟ كلا، لقد كان داعية ناجحاً موفقاً، قام بالدعوة، وأحسن عرضها، والدفاع عنها، والاحتجاج لها، واستمر على هذا حوالي ألف سنة، لكن القوم أصروا على كفرهم، فماذا يمكن أن يفعل لهم؟ هل يمكن أن يُكرههم على الإيمان؟.

لقد كان صريحاً في تقرير هذا المعنى لهم: [قَالَ يَنْقَوْمَ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ

مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَا كُتُبَهَا وَأَنزَلْنَا عَلَيْهَا كِتَابًا

[هود:28]. و: [وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يُعْوِبَكُمْ ۗ هُوَ رُبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] [هود:34].

ولقد قررت آيات القرآن تسلية نوح ومواساته من ربه، على ما لقي من كفر وصدود

قومه: [وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ]⁽²⁾ [هود:36].

1- الخالدي. القصص القرآني (1/181-182).

2- المصدر السابق. وانظر. السعدي. عبد الرحمن بن ناصر(ت:1376هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(2مج) دار الفجر للنزوات(القاهرة) ط1: 1424هـ-2003م. تقديم: محمد بن صالح العثيمين.(1/661). و " من لطائف القرآن الكريم التي يظهر فيها عظمتة وإعجازه ودقائقه البيانية قوله سبحانه في هذه السورة، [فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ] [هود:36] وفي السورة التي تليها قول يوسف U لأخيه [إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ] [يوسف:69]. وأحد الفروق بين الفعل والعمل أن العمل إنما هو الذي يقصد إليه صاحبه، وإخوة

" وعلى الرغم من المدة التي قضاها بينهم؛ إلا أنهم لم يرعوا، وكان من الممكن أن يستمر في دعوته لولا أن الله تبارك وتعالى أوحى إليه بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وما آمن معه إلا قليل، وهنا- وقد أدرك أن لا خير يرجى منهم- يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء [... رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ

وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] [نوح:25-28] حتى دعاؤه على الكافرين لم يكن تشفياً، وإنما من أجل العقيدة [إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ]، وهو درس لو تعلمون عظيم. وهنا لا بد أن نتذكر ما كان من سيدنا رسول الله ﷺ وقد جاءه ملك الجبال من أجل أن ينزل بأهل مكة العذاب فيقول كلمته العظيمة، التي لا زالت يسري عبقها في هذا الكون هداية وتربية وحكمة نافذة، وحكمة وبصيرة (بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً)⁽¹⁾.

" وأخيراً كان ما توقعه النبي- عليه الصلاة والسلام- فأخرج الله من أصلاب أولئك من عبده، ووحده، ونافح عن دينه وعن نبيه- عليه الصلاة والسلام-، ف صلى الله على نوح، أول رسول دعا ولم يأل جهداً في دعوته، و صلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه آخر رسول دعا، واستجاب الله له، وكانت الآخرة خيراً له من الأولى وسلم تسليماً كثيراً "⁽²⁾.

" وقد يعن للإنسان أن يسأل: ترى تساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل، وتلك التضحيات النبيلة، ومن لدن نوح ﷺ إلى محمد ﷺ- عليه الصلاة والسلام- ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين بدعوة الله وتضحياتهم الضخام؟"⁽³⁾.

وهنا يتابع سيد-رحمه الله- كلامه فيقول: " ثم ترى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله، المتجلية في استقرار إرادته سبحانه على إرسال الرسل تترى بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار، من هذا الخلق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان؟! والجواب بعد التدبر: أن نعم .. وبلا جدال .. !

يوسف كان فعلهم كله عن إصرار وقصد سابق، أما قوم نوح فقد كانت أفعالهم في كثير من الأحيان على غير قصد سابق، ارتجالاً لا كما كان أخوة يوسف ".عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:184-185).

1- عباس. **قصص القرآن الكريم** (ص:205). والحديث أخرجه مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجهاد والسير باب(ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) برقم(1795)(1420/3).

2- المصدر السابق.

3- قطب. **في ظلال القرآن** (6/ 3708-3709).

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد، وكل هذا الصبر، وكل هذه المشقة، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل!. ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلغ إلى آفاق الكمال المقدر لها بأية وسيلة كما بلغت باستقرار حقيقة الإيمان بالله فيها. وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق بوسيلة أخرى كما ارتفعت بهذه الوسيلة. وأن الفترات التي استقرت فيها هذه الحقيقة في الأرض، وتسلم أهلها قيادة البشرية كانت قمة في تاريخ الإنسان سامقة، بل كانت حلاً أكبر من الخيال، ولكنه متمثل في واقع يحياها الناس⁽¹⁾.

ثم يتابع سيد-رحمه الله- كلامه فيقول: " وهذا كله يستحق - بدون تردد - كل ما يبذله المؤمنون من جهود مضيئة، ومن تضحيات نبيلة، لإقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض. وإقامة قلوب تتطوي على قبس من نور الله، وتتصل بروح الله. وإقامة حياة إنسانية يتمثل فيها منهج الله للحياة. وترتفع فيها تصورات البشر وأخلاقهم، كما يرتفع فيها واقع حياتهم إلى ذلك المستوى الرفيع، الذي شهدته البشرية واقعاً في فترة من فترات التاريخ⁽²⁾.

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

المبحث الثاني:

الدروس المستفادة من قصة نوح

قال تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلُهُمْ أَقْتَدَهُ ...] [الأنعام:90]، "أي أولئك

الذين هدى الله من الأنبياء- ومنهم نوح- الذين تقدم ذكرهم هم الهداة المهديون، فتأسس واقتدى بسيرتهم وبطرقهم التي سلكوها في الدعوة إلى الدين وإقامته"⁽¹⁾. "وإذا كان هذا الاقتداء بالرسول السابقين، ومنهم نوح ، أمرأ لرسول الله ، فأتمته تبع له في هذا الاقتداء"⁽²⁾. وقوله تعالى: [وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود:120] "أي كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أمهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداء الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة"⁽³⁾. وفي ضوء ما تقدم: سأذكر في هذا المبحث - إن شاء الله - الدروس والعبر المستفادة من قصة نوح ، لا سيما وأنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله -تعالى-، ويجادلهم دون كللٍ أو ملل.

أولاً: دلالة قصة نوح على مصدر القرآن:

نص القرآن الكريم في ختام قصة نوح على دلالة القصة التي أوردها على أن القرآن الكريم كلام الله: [تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَنِقَةَ لِلْمُتَّقِينَ] [هود:49] "أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك أنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك"⁽⁴⁾ .

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم(596/7)، وانظر. السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور (53/3)، والصابوني.

محمد علي. صفوة التفاسير(3مج) دار الصابوني(القاهرة)ط9: 1396هـ-1976م(404/1).

2- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم(155/2).

3- المصدر السابق(465/2)، وانظر. حوى. الأساس في التفسير.(2610/5).

4- المصدر السابق (284/4).

ثانياً: التلطف مع المدعويين:

على الداعي المسلم أن يتلطف في مخاطبة من يدعوهم، وذلك باستعمال الألفاظ الرقيقة التي تساعد على إقبال المدعو على الداعي وإصغائه لما يقول، كأن يقول له يا أخي، أو يناديه بكنيته كأن يقول له: يا أبا فلان، وإذا كان يخاطب جمعاً من الناس فمن المستحسن أن يقول لهم: يا قومي كما كان يقول نوح ﷺ لقومه وهو يخاطبهم. أو يقول لهم: يا أبناء عشيرتي، أو يا أهل بلدي، مما يشعرهم بأنه - أي الداعي - واحدٌ منهم ليس بعيداً عنهم. ويجوز للداعي أن يخاطب المدعويين بما يُذكرهم بطيب أصلهم، وحسن سيرة آبائهم وأجدادهم، وجهادهم في خدمة الإسلام، وأنهم - أي من يخاطبهم ويدعوهم - أهلٌ لأن يكونوا مثل آبائهم وأجدادهم في حسن سيرتهم، وخدمتهم لدين الله، على أن يكون مدح الداعي لآباء المدعويين بحدود ما يعلمه عنهم، وبدون إسراف في المدح والثناء.

التلطف يكون مع المدعويين الكفار والعصاة:

والتلطف يكون مع الكفار ومع المسلمين العصاة، قال الإمام القرطبي وهو يفسر آية [أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...] [النحل:125] "هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة"¹.

ثالثاً: الشفقة على المدعو والنصح له:

وعلى الداعي أن يشعر المدعو بالشفقة عليه، والنصح له، وأن يبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو، أو احتقاره، أو إظهار فضله عليه، وإنما عليه أن يكلمه بروح الناصح الشفيق المخلص في نصحه وشفقته.. يكلمه كمبلغ لمعاني الإسلام، لا أن يكلمه كمبلغ له فضله وعلمه، فعلى الداعي المسلم أن يبقى على هذا النهج ولا يحيد عنه، ولو قابله المدعو بما لا يليق. إن المدعو مريض الروح، والمريض يصدر منه ما لا يصدر من الصحيح المعافى، فقوم نوح ﷺ قالوا له: [...إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [الأعراف:60]، فأجابهم نوح: [قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ] [٦٠] أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مَنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] [الأعراف:61-62]. فنوح ﷺ لم يغضب لقولهم واتهامهم له

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (200/10).

بالضلال، وإنما نفى عن نفسه الضلال، وأخبرهم بأنه رسول من رب العالمين؛ ليبلغهم ما أرسل به إليهم، فكيف يكون الرسول ضالاً؟ وبمثل هذا الجواب الخالي من الغضب والانفعال والانتصار للنفس يُقبل المدعو على الداعي، ويستجيب لما يدعوه إليه إن لم يكن في المرة الأولى ففي المرات القادمة⁽¹⁾.

رابعاً: التبليغ بالكلام المبين:

وعلى الداعي أن يعلم بأن عليه أن يبلغ ما يريد تبليغه للمدعو بوضوح تام لا إبهام فيه ولا غموض، قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...] [إبراهيم:4]. وجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين، أي الواضح، لتقوم الحجة على المخاطبين، وهذا واجب الرسل قال تعالى: [...وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبِينِ] [العنكبوت:18]، ولهذا قال نوح ﷺ لقومه: [... يَنْقَوْمِ إِيَّايَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] [نوح:2]. ومقياس الوضوح في كلام الداعي للمدعو ليس للداعي نفسه، فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة له غير واضح بالنسبة للمدعو، وكذلك ليس مقياس الوضوح وضوح الكلام بذاته فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة للمدعو، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...] فالبيان لهم أي للمدعويين وليس للداعي⁽²⁾. وفي الحديث النبوي الشريف عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصولاً يحفظه من جلس إليه)⁽³⁾ " أي بيئاً ظاهراً يفهمه كل من يسمعه"⁽⁴⁾.

1- انظر. الصابوني. مختصر تفسير ابن كثير (28/2).

2- انظر. عمارة. فقه الدعوة (ص:76).

3- رواه الترمذي. (باب المناقب) برقم (3719) وقال عنه: حسن صحيح. انظر. الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:279هـ) سنن الترمذي. (5مج) دار الفكر (بيروت) ط2: 1403هـ-1983م. حققه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان (261/5).

4- المباركفوري. أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت:1353هـ) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (15مج) دار الفكر (بيروت) ط3: 1399هـ-1979م. ضبطه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان (123/15).

من لوازم الكلام المبين:

ومن لوازم (الكلام المبين) أن يتأني الداعي في كلامه مع المدعو، فلا يسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري أن النبي ﷺ (كان إذا تكلم أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه)⁽¹⁾.

ومن لوازم (الكلام المبين) أن يبتعد الداعي في كلامه مع المدعو عن التفاسيح والتعاطم في الكلام والتكلف في نطقه، ففي الحديث الشريف عن الرسول ﷺ أنه قال: " هلك المتتبعون، قالها ثلاثاً "⁽²⁾. والتتبع في الكلام التفاسيح فيه والتعمق فيه. وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إنَّ أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون "⁽³⁾.

خامساً: الدعوة إلى الله في كل وقت ومكان:

والدعوة إلى الله يقوم بها الداعي في أي وقت ومكان في الليل والنهار، وبكل صيغة ملائمة لحال المدعو، لهذا قال -تعالى- على لسان نوح ﷺ [قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً] [نوح:5]. فعلى الداعي أن يراعي الظروف والأحوال الملائمة للقيام بالدعوة، فلا يدعو في حالة غير ملائمة ولا مناسبة للمدعو، كأن يكون مشغولاً، أو في حالة شديدة من الإرهاق والتعب. وكذلك على الداعي أن يتخير الوقت المناسب فلا يقصد المدعو في وقت القيلولة مثلاً، أو في ساعة متأخرة من الليل.

على الداعي أن لا يُثقل على المدعو:

على الداعي أن لا يُثقل على المدعو أو على المدعوين في تكرار تذكيرهم وموعظتهم مخافة السآمة، وهذا بالنسبة لشخص معين أو جماعة معينة يدعوهم الداعي. أما بالنسبة لأصل قيام الداعي بالدعوة إلى الله فهذا يجب أن يستمر ولا ينقطع، ويتكرر، ودليلنا على ما قلناه إن

1- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب العلم. باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه). برقم (95/37/1).

2- رواه مسلم. صحيح مسلم. كتاب العلم، باب (هلك المتتبعون)، برقم (2670) (2055/4).

3- رواه الترمذي. سنن الترمذي. باب (ما جاء في معالي الأخلاق) برقم (2087) وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. والثرثار هو المتشدد هو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاسيحاً وتعظيماً لكلامه. والمتفيهق الذي يملأ فمه بكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وإظهاراً للفضيلة على غيره. انظر. النووي. أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت:676هـ) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (جزء واحد) دار الجيل (بيروت) تقديم: د. محمد جميل غازي. (ص:231).

رسول الله ﷺ كان يتخول أصحابه الموعظة في الأيام كراهة السامة عليهم، فقد أخرج الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- عن ابن مسعود قال: (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا)⁽¹⁾ وذكر ابن حجر أن معنى الحديث: " كان النبي ﷺ يراعي الأوقات في تذكيرهم، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل"⁽²⁾. وقال ابن حجر العسقلاني في معنى الحديث: " ويستفاد من الحديث: استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة"⁽³⁾. وقد التزم عبد الله بن مسعود τ بنهج رسول الله ﷺ وسننه في وعظ الناس وتذكيرهم بمعاني الإسلام، فكان يقوم بذلك في كل خميس ولم يستجب لمن طلب منه أن يعظ الناس كل يوم محتجاً بسنة رسول الله ﷺ في تخولهم بالموعظة، فقد أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- عن أبي وائل قال: (كان ابن مسعود يُذَكِّرُ الناس في كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددتُ أنك ذكرتنا كل يوم. قال ابن مسعود: أما إنه يمنعني من ذلك أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا)⁽⁴⁾.

سادساً: الترغيب والترهيب :

رأينا فيما سبق أنّ سيدنا نوحاً U رغبّ قومه في الاستجابة لدعوته بما وعدهم من مغفرة الله لذنوبهم وبما يسبغه عليهم ربهم من نعمه في الدنيا. كما أنه U خوّفهم من رفضهم دعوة الله بما يصيبهم من نقمة في الدنيا وعذاب في الآخرة. هذا المسلك في الترغيب والترهيب في الدعوة، يجب أن يأخذ به الداعي، فيرغبّ المدعوين برضوان الله وجناته في الآخرة، وبالعيش الرضي في الدنيا إن هم أطاعوا الله، وأطاعوا رسوله، والتزموا بأحكام الشرع في جميع أمورهم. كما يرغبهم بخيرات الدنيا إن هم أطاعوا الله ورسوله، قال تعالى: [يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَىٰ تَجْرَةِ تُجْحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِۦ

وَتُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ يَغْفِرُ

1- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب العلم، باب (ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا)، برقم (68) (29/1).

2- العسقلاني. أبو الفضل شعاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر (ت:852هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (14مج) مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة) (بلاط : 1398هـ-1978م. ضبط أحاديثه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمود الهوارى (256/1).

3- المصدر السابق (256-257).

4- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب العلم. باب (ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا). برقم (68) (29/1).

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَإِذْ خَلَقَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ]

[الصف:10-13] فهذه الآيات فيها ترغيب بمغفرة الله، ودخول جنته في الآخرة لمن يؤمن بالله ورسوله، ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، وترغيب لهم أيضاً بالنصر الذي يحبونه، والفتح القريب أي العاجل. فهذه الزيادة - النصر والفتح القريب - هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله بعد أن آمن ونصر دين الله بماله ونفسه⁽¹⁾، ومن الترغيب بالحياة الطيبة في الدنيا وبالثواب الحسن في الآخرة قوله -تعالى- على لسان نوح ص: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَبَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا] [نوح:10-12].

ويكون الترهيب بعذاب الله في الآخرة، وإهلاكهم في الدنيا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، قال تعالى: [مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَّارًا] [طه:25-27].

سابعاً: التأكيد على عبادة الله وحده:

كان نوح يؤكد في دعوته على عبادة الله وحده ويقول لقومه: [...يَنْقَوْمِرَاعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...][الأعراف:59] فعلى الداعي المسلم أن لا يغفل عن التأكيد على أن الله هو المعبود الحق وأن لا اله إلا الله، والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تأمر الناس بعبادة الله وحده وما يترتب عليها من ثواب، وما يترتب على تركها من عقاب.

ثامناً: جدال الداعي مع المخالفين :

يحتاج الداعي إلى الجدال مع المخالفين لدعوته، فعلى الداعي المسلم أن يجادلهم بالتالي

1- انظر. ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (4/361).

هي أحسن كما جادل نوح U قومه، وكما أمرنا الله به صراحة، قال تعالى: [أَدْعُ إِلَىٰ

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] [النحل:125]. يأمر الله رسوله محمداً
ع أن يدعو الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة [وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] "أي من احتاج
منهم إلى جدال فليكن بالوجه الذي هو أحسن وجوه الجدل، فتجادلهم برفق ولين وحسن
خطاب"⁽¹⁾ [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] "أي قد
علم الشقي منهم والسعيد، فدعهم إلى الله تعالى ولا تذهب نفسك حسرات على من ضل منهم،
فإنه ليس عليك إنما أنت نذير، عليك البلاغ وعلينا الحساب"⁽²⁾.

غرض المخالف دحض الحق، وغرض الداعي هدايته:

غرض أهل الباطل في جدالهم مع الدعاة دحض الحق ورد الدعوة وصرف الناس عنها،
كما كان هذا الغرض هو غرض قوم نوح في جدالهم معه، قال تعالى: [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ] [غافر:5]. وقوله تعالى: [وَجَدَلُوا
بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] "أي جادلوا رسلهم بالباطل أي بإيراد الشبهات يحسبونها حججاً
لهم، [لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] أي ليزيلوا به الحق الذي جاءت به رسلهم"⁽³⁾.

فهذا هو غرض أهل الباطل من جدالهم مع رسلهم، وهذا هو غرض أهل الباطل في
جدالهم مع الدعاة في كل مكان وزمان إلا من رحم ربك. ومع هذا فإن الدعاة يجادلونهم على
أمل هدايتهم.

1- المصدر السابق (592/2).

2- المصدر السابق.

3- الرازي. التفسير الكبير (30/27).

حَذْرُ الدَاعِي مِنَ مَكْرِ الْمُخَالِفِينَ:

فعلى الداعي المسلم والجماعة المسلمة الحذر من المكر الخبيث لأهل الباطل المخالفين للدعوة الإسلامية، وإن على الدعاة والجماعة المسلمة إظهار اعتزازهم بأتباعهم المؤمنين، وإن كانوا ضعفاء أو مغمورين أو أصحاب حرف بسيطة يستهين بها الناس، وإذا طلب أهل الباطل في جدالهم مع الدعاة أو مع الجماعة المسلمة إبعاد هؤلاء المؤمنين عنهم كشرط لإتباعهم لهم وللدعوة، فعلى الدعاة والجماعة المسلمة رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً باتاً، لأنه طلب غير قابل للمناقشة، وعلى الدعاة أن يتذكروا موقف نوح (ع) من هذا الطلب، وقد بيناه فيما سبق. وعلى الدعاة والجماعة المسلمة استحضار ما أوحاه الله إلى رسولنا (ع) بشأن أتباعه المؤمنين عندما طلب كبار الكفار إبعادهم عن مجلسه (ع)، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: (مرَّ المَلَأُ من قريش على النبي (ع) وعنده خَبَابٌ، وصهيب، وبلال، وعمار، وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد أَرْضِيَتْ بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ

مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ

[(الأنعام:52)]⁽¹⁾ ومعنى هذه الآية: "ولا تطرد أيها الرسول هؤلاء المؤمنين الموحدين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي: أي في أول النهار وآخره، أو في عامة الأوقات، لأنه يُكنى بطرفي الشيء عن جملته"⁽²⁾ [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط] أي يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم، وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات"⁽³⁾، فلا يشركون معه أحداً، ولا يرجون من غيره ثواباً. فهذا التعبير [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط] يدل على الإخلاص لله تعالى في العمل، وابتغاء مرضاته به وحده، وعدم الرياء فيه، كما قال تعالى حكاية عن المطعميين الطعام: [إِمَّا نَطْعمُكُمْ لَوْ جَهِ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا] [الإنسان:9]. وقوله: [مَا عَلَيْكَ مِّن حِسَابِهِمْ مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ]^ط. [أي ما عليك شيء

1- رواه أحمد. برقم (3985)، وانظر ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت:241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل (50مج) مؤسسة الرسالة (بيروت) ط:1، 1416هـ-1996م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وإبراهيم الزبيق (92/7).

2- المنار. تفسير القرآن الحكيم (7-435).

3- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (2/135).

ما من أمرٍ حساب هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي على دعائهم ولا غيره من أعمالهم الدينية، كما أنه ليس عليهم شيء ما من أمر حسابك على أعمالك حتى يمكن أن يترتب على هذا أو ذاك طردك إياهم بإساءتهم في عملهم، أو في محاسبتك على عملك، فإنَّ الطرد جزاء، وإنما يكون على عمل سيء يستوجبه ولا يثبت إلا بحساب، والمؤمنون ليسوا عبيداً للرسول ولا أعمالهم الدينية لهم بل هي لله تعالى يريدون بها وجهه لا أوجه الرسل، وحسابهم عليه تعالى لا عليهم، وإنما الرسل هداة معلمون⁽¹⁾. قوله تعالى [فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ] "جواب للنهي عن الطرد، أي لا تطرد هؤلاء فتكون بطردك إياهم من جنس الظالمين ومعدوداً في زميرتهم"⁽²⁾.

قطع الجدل إذا انتفت فائدته:

إذا انتفت الفائدة من الجدل فعلى الداعي أن يقطعه ولا يستمر فيه، لأن الغرض من الجدل تبصير المخالف بالحق والسعي لهديته، فإذا تبين للداعي انتفاء هذا الغرض لم يبق سبب مشروع ولا مبرر معقول للاستمرار في هذا الجدل العقيم.

ويعرف الداعي أنَّ الجدل صار بهذه الكيفية أو وصل إلى هذه الحالة بما يصرح به المخالف، أو بما تدل عليه القرائن، فمن ذلك في قصة نوح ۷ أن قومه قالوا له: [قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] [هود:32].

وقولهم كما حكاها الله عنهم [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] [الشعراء:116] "أي إن لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا لتكونن من المرجومين بالحجارة، فعدلوا بتلك المحاوراة بينهم وبين نوح ۷ الى التجبر والتوعد"⁽³⁾.

قال -تعالى- حكاية عما قاله قوم نوح ۷: [إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ]

حَتَّىٰ حِينٍ] [المؤمنون:25] "أي هو - بزعمهم - رجلٌ مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله

إليكم واختصه من بينكم بالوحي [فَتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ] أي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدّة حياته حتى تستريحوا منه بعد ذلك"⁽⁴⁾.

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم(438/7).

2- المصدر السابق(439/7).

3- الشوكاني. فتح القدير(109/4).

4- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (244 /3).

ومن الواضح أنّ هذه الأقوال لا تدل على أنّ أصحابها يريدون بجدالهم مع نوح U الوصول إلى الحقيقة، ففي الآية الأولى: أظهروا ملهم من كثرة الجدل، وفي الآية الثانية: هددوه برجمه بالحجارة، وفي الآية الثالثة: رموه بالجنون فيما يدعيه أنه رسول الله، وطلبوا من قومهم انتظاره حتى يموت ويستريحوا منه، وهذا يدل على أن لا فائدة من التشبث بجدالهم لهدايتهم.

تاسعاً: هلاك القوم بالظلم:

ومما يستفاد من قصة نوح للدعوة والدعاة أن من أسباب هلاك الأمم الظلم، فقد أهلك الله قوم نوح بالغرق بسبب ظلمهم، ولهذا قال تعالى بعد هلاكهم: [وَقِيلَ بَعْدَ لِقَاكُمْ الظَّالِمِينَ [هود:44]. "أي هلاكاً وسحقاً لهم وبعداً من رحمة الله تعالى بما كان من رسوخهم في الظلم واستمرارهم عليه"⁽¹⁾. وقال تعالى مبيناً هلاك قوم نوح بالغرق وأنه بسبب ظلمهم: [وَقِيلَ بَعْدَ لِقَاكُمْ الظَّالِمِينَ [العنكبوت:14] والواقع أنّ القرآن بيّن لنا في أكثر من آية أنّ (الظلم) سبب مؤكّد لهلاك الأمم، وأنّ هذا الهلاك هو من مقتضيات ولوازم سنة الله في الظلم والظالمين. ومن هذه الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: [وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنَ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا... [يونس:13] "أي أهلكناهم لما كفروا وأشركوا"⁽²⁾.

أعظم الظلم الكفر والشرك بالله:

إنّ (ظلم) قوم نوح كان كفرهم وشركهم بالله، لأنّ (الظلم) يطلق عليهما، قال تعالى في وصية لقمان لابنه: [وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنَ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا... [يونس:13] "أي أهلكناهم لما كفروا وأشركوا"⁽²⁾. وإنما كان الشرك ظلماً عظيماً، لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقوم نوح لم يؤمنوا لنوح U، ولم يعبدوا الله بل جعلوا عبادتهم في غير موضعها، جعلوها لمعبوداتهم التي ذكر الله لنا أسماءها، قال تعالى:- [وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَاللَّهِ تَدْرُنَّ وَلَا سِوَاكَ وَلَا يَعْجُبُكَ وَيَعُوقُ وَدَسْرًا [نوح:21] "وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله"⁽³⁾، وهذا

1- المنار . تفسير القرآن الحكيم (80/12).

2- القرطبي . الجامع لأحكام القرآن (317/8).

3- ابن كثير . تفسير القرآن العظيم (426/4).

منهم ظلم عظيم لأنَّ الله وحده المستحق للعبادة، ولا يجوز ولا يتصور أن يكون غير الله معبوداً أصلاً لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الشراكة مع الله⁽¹⁾.

من الظلم تظالمُ الناس فيما بينهم:

هذا وإنَّ الظلم يطلق على تظالم الناس فيما بينهم، كما هو معروف، و يكون أيضاً سبباً لنزول العذاب، وقد ذهب الإمام القرطبي في تفسيره إلى أنَّ الكفر وحده لا يؤدي إلى الهلاك إلا إذا انضاف إليه التظالم بين الناس، وإحداث الفساد في الأرض، لقوله تعالى: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] [هود:117] قال القرطبي في تفسيره هذه الآية: " [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ] " أي أهل القرى، [بِظُلْمٍ] أي بشرك وكفر [وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودلَّ هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب⁽²⁾. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديقؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)⁽³⁾.

ربُّنا يمهِّل ولا يمهِّل:

على الدعاة أن يفقهوا من قصة نوح بأنَّ الله تعالى يمهِّل ولا يمهِّل، أي يمهِّل الكفرة والمعاندين لشرعه، عسى أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم فإنَّ أصرروا على عنادهم وكفرهم وعصيانهم أخذهم أخذاً عزيز مقتدر، وهذا ما لاحظناه في هلاك قوم نوح، فقد أمهلهم الله تعالى مئات السنين، ثم بعد ذلك أهلكهم الطوفان، وهذه هي سنته تعالى العامة في خلقه، قال تعالى: [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ

1- انظر. الرازي. التفسير الكبير(30/142-146).

2- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن الكريم(9/114).

3- رواه الترمذي. سنن الترمذي. باب(ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغَيَّر المنكر) برقم(2257)(3/316)، والبرهان فوزي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي(ت:957هـ) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال(18مج) برقم(5575) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت- شارع سوريا)(بلاط: 1399هـ-1979م. ضبطه ووضع فهرسه ومفاته: الشيخ صفوت السقا(3/77).

لُوطٍ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [الحج: 41-44]. وقوله تعالى: [فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ] أي أخرت عنهم العقوبة، [ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ] فعاقبتهم [فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] "استفهام بمعنى التغير، أي انظر كيف كان تغيري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك" (1).

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: [وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ رَءِيمٌ شَدِيدٌ] [هود: 102]. (2)

عاشراً: العمل الصالح وليس النسب هو وسيلة النجاة:

ذكرنا في قصة نوح ﷺ أنه نادى ابنه أن يركب معه في السفينة، لينجو من الغرق، فرفض الابن ذلك، فدعا نوح ربه بشأنه، وأخبره الله تعالى بأنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم لكونه كافراً، وهذا يبين لنا أن نسب الإنسان لا يغني عنه شيئاً إذا كان صاحبه عارياً من الإيمان والعمل الصالح، فابن نوح لا شك في رفعة نسبه فهو ابن نوح رسول الله، ولكن لم ينفعه شيئاً، لكونه كافراً، "فإن الله تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وليس بأنسابهم، ولا يحابي أحداً منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين، وإن كانوا من الأنبياء المرسلين" (3).

وما قلناه هو من أصول شريعتنا الإسلامية فقد أخرج الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (لما نزلت [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] [الشعراء: 214] قام رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم) (4).

1- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (73/12).

2- رواه البخاري. الجامع الصحيح. كتاب: تفسير القرآن. باب قوله: (وكذلك أخذ ربك القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد) برقم (4686) (3/255-256).

3- المنار. تفسير القرآن الحكيم (87/12).

4- رواه أحمد. برقم () انظر. ابن حنبل. مسند الإمام أحمد. قال عنه شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح، رجال ثقات رجال الصحيحين (494/41).

وفي كتاب الله إخباراً عن أبي لهب وأن مصيره إلى النار؛ لكفره ولم يغن عنه كونه عم رسول الله ﷺ، فاعتبروا يا أولي الألباب.

ونستدل بقصة هلاك ابن نوح على "أن الإيمان والعمل الصالح لا علاقة لهما بالوراثة والأنساب"⁽¹⁾، وإلا لكان ابن نوح مؤمناً، وإنما يكون الإيمان والعمل الصالح بكسب الإنسان وتركية نفسه. كما ونلمح من قوله -تعالى-: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ^ط] [هود:47] تسليية للخلق في فساد أبنائهم، وإن كانوا صالحين.

أحد عشر: مصاحبة المؤمنين لا تفيد إذا لم يكن المصاحب مؤمناً:

إن امرأة نوح لم تكن من أهل نوح الذين وعد الله نوحاً بإنجائهم، وإنما كانت من الذين سبق عليهم حكم الله بالغرق لكفرهم، وعلمنا ذلك بإخبار الله لنا بأن امرأته كانت من الكافرين، ولذلك استحققت دخول النار، قال تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ

وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ ^ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ] [التحريم:10]، وقوله تعالى: [ضَرَبَ

اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا] "أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يُغني عنهم

شيئاً، ولا ينفعهم عند الله تعالى إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال:

[ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ ^ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَالِحِينَ] أي نبيين رسولين كانتا عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما

ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط [فَخَانَتَاهُمَا] أي في الإيمان، لم توافقاها

على الإيمان، ولا صدقتاهما في الرسالة، فلم يُجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا

قال تعالى: [فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] أي لكفرهما [وَقِيلَ] أي للمرأتين: [ادْخُلَا

النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ] وليس المراد بقوله [فَخَانَتَاهُمَا] في فاحشة بل في الدين، فإن نساء

الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، أما خيانة امرأة نوح، فكانت تخبر

1- المنار. تفسير القرآن الحكيم (86/12).

أنه مجنون، وكانت على غير دينه، وتطلع على سره، فإذا آمن أحد برسالة نوح، وأنه رسول الله، أخبرت الجبابرة من قوم نوح بإيمانه⁽¹⁾.

ثاني عشر: الداعي لا يطلب مالاً على دعوته:

والداعي لا يطلب من أحد مالاً على قيامه بالدعوة إلى الله تعالى، ولا يطلب أي شيء آخر مما يمكن أن يظنه الناس عوضاً عن قيامه بالدعوة، وهذا ما أخبره به نوح قومه، قال تعالى حكاية عما قاله نوح لقومه: [وَيَقَوْمٍ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ...] [هود:29] فقد صرح نوح لقومه بأنه لا يسألهم على ما يدعوهم إليه مالاً، فيكون متهماً فيه عندهم [إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ] "أي ما أجري على تبليغه والقيام بأعبائه إلا على الله الذي أرسلني به"⁽²⁾. وهذا أمر مهم على الداعي المسلم أن يتلفت إليه، ويحذر من أن يطلب من المدعويين أو من أحد من الناس شيئاً لمنفعته، لئلا يُظنَّ به أنه يتخذ الدعوة وسيلة لجرِّ المنافع لنفسه. ولأهمية هذا الأمر صرح رسل الله به، فكلهم قالوا لأقوامهم ما قاله نوح لقومه من أنهم لا يسألونهم أجراً على قيامهم بدعوتهم إلى الله تعالى. ومثاله ما قاله نبي الله هود لقومه: [يَنْقَوْمَرِ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] [هود:51].

وهنا يتوجب على الدولة والمسؤولين تخصيص المال للدعاة حتى يتمكنوا من القيام بواجب الدعوة.

ثالث عشر: من مهام الداعية إصلاح الأجيال.

" والمصلحون يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس الأجيال الآتية إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحية وهذا واضح في دعاء نوح ص: [... رَبِّ لَا تَذَرُ

عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٥﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا] [نوح:26-27].

1- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (394/4). بتصرف.

2- المنار. تفسير القرآن الحكيم (65/12).

وقد انتزع عمر بن الخطاب ٧ من قوله -تعالى-: [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ...] [الحشر: 10] دليلاً على إبقاء أرض سواد العراق غير مقسومة بين الجيش الذي فتح العراق، وجعلها خراجاً لأهلها قصداً لدوام الرزق منها لمن سيجيء من المسلمين⁽¹⁾.

1- ابن عاشور. التحرير والتنوير (199/29)، وانظر. أبو عبيد. القاسم بن سلام (ت: 224هـ) كتاب الأموال (جزء واحد) دار الفكر (القاهرة) ط3: 1401هـ-1981م. تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس (ص: 59-60)، والماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ) الأحكام السلطانية (جزء واحد) دار الفكر (بيروت) (بلاط) (ص: 148).

الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
- في نهاية هذا البحث أحب أن أسجل هنا أهم النتائج التي توصلت إليها:
- 1- مادة (القصص) تقوم على التتبع سواء كان ماديا أو معنويا، ومنه اشتق مصطلح القصص القرآني.
 - 2- القصص القرآني هو: الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.
 - 3- القرآن الكريم أهتم بالقصص القرآني، وأفرد له مساحة واسعة في السور والآيات، ووصفه بعدة صفات، وساقه لعدة أغراض تهدف إلى تعميق الإيمان، وتهذيب النفوس، والتفكير والاعتبار، وتثبيت الفؤاد على دين الله.
 - 4- المصادر الموثوقة للقصص القرآني هي فقط القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أما ما سوى ذلك من الإسرائيليات فهي على أقسام، والمتسامح فيه بشأنها هو المسكوت عنه، فتجوز حكايته دون أن يصدق أو يكذب، وبشرط ألا يعتبر وجها من وجوه التفسير.
 - 5- القصص القرآني له أحوال ثلاثة: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.
 - 6- يتميز القصص القرآني بأنه القصص الحق، وأحسن القصص، وتتنوع طريقة العرض والمفاجأة، وترك الفجوات ليملأها الخيال، وكذلك التصوير الفني الرائع في القرآن الكريم.
 - 7- أما القصص الإنساني فهو حوادث يخترعها الخيال؛ وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع؛ إنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه؛ وغالبا ما كانت أخبارا متفرقة أو متناقضة؛ يعوزها الاتساق والربط بين أحداثها وشخصياتها؛ وترتيب هذه الأحداث.
 - 8- تحدث القرآن الكريم عن نبي الله نوح ص في عشر سور، وورد اسمه في القرآن ثلاثا وأربعين مرة، ندرك منها أنه رسول أمين، ونبي كريم، وداعية فذ.
 - 9- إن نسب نوح ص من الأمور التي لا يقطع بثبوتها. فلم يثبت في الأحاديث الصحيحة شيء عن أسماء آباء نوح ص ، ولا عن سلسلة النسب بينه وبين أبيه آدم ص .
 - 10- كفر زوجة نوح ص ، وأحد أبنائه، وقد نص القرآن الكريم على كفرهما.
 - 11- خيانة امرأة نوح ص ، كانت في الدعوة وليست خيانة في الفاحشة.
 - 12- عصمة زوجات الأنبياء من الوقوع بالفاحشة، وهذه العصمة ضمنية وليست تصريحية.

- 13- الراجح في ابن نوح ٧ أنه من صلبه؛ لأن القرآن نص على ذلك، فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقريضة ولا يوجد قريضة.
- 14- أهمية البيئة الصالحة للإنسان؛ حيث يكون لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته، وصقل عقله، وتهذيب نفسه، وتشكيل مواهبه؛ خاصة في المراحل الأولى من حياته.
- 15- إن رواية التوراة عن الطوفان، متهافئة، وغير متماسكة، ولا تتفق مع مكتسبات المعرفة الحديثة، بعكس الرواية القرآنية الخالية من كل ما يثير النقد الموضوعي.
- 16- عمر نوح ٧ كان على ثلاث مراحل: ما بين ولادته ونبوته، وما بين نبوته والطوفان، وما بين نزوله من السفينة إلى وفاته. أما المرحلة الأولى والثالثة فلم يخبرنا الله عنها، ولم تثبت في صحيح الأخبار، فلا نعرف شيئاً عن مكان ولادته ولا عن عمره يوم مبعثه، ولا عن وفاته وكيفية دفنه، ولا عن المكان الذي دفن فيه.
- 17- خصائص نوح ٧ كثيرة، منها: أنه من أولي العزم، ومستجاب الدعوة، وقوة الأنبياء، وعبداً شكوراً، ومن المحسنين.
- 18- المؤمن يؤمن برسول الله جميعاً لأنهم حملة رسالة واحدة هي التوحيد.
- 19- الراجح في مدة القرن هي مئة سنة؛ وهذا المعنى هو الذي يتبادر للذهن عند كثير من الناس.
- 20 - إن أسس رسالات الرسل ومبادئ دعوتهم واحدة ؛ لأنهم رسل مرسل واحد، فلا خلاف في العقائد ، ولا خلاف في روح العبادات التي أمروا بها .
- 21 - أمة- محمد عليه الصلاة والسلام- أمة الشهادة ، فهي تشهد لنوح ٧ بتبليغه قومه.
- 22- الإسلام أول دين على وجه الأرض ، والشرك هو الطارئ والشاذ على البشرية بعد ذلك.
- 23- إصرار قوم نوح على الكفر ، والتكذيب ، وإثارة الشبهات ، ومن هذه الشبهات :
أ- كونه من البشر. ب- النبي لا بد وأن يكون ملكاً . ج- أتباع نوح هم الأرنلون.... إلى آخر هذه الشبه والافتراءات.
- 24- سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة سنة مطردة، وإن الظلم سبب مؤكد لهلاك الأمم.
- 25- كل ما يتعلق بالسفينة مبهم في الكتاب والسنة، لم تبينه الآيات والأحاديث الصحيحة، وكل ما ورد عنها فهو من الإسرائيليات ومعرفة التفصيلات عنها لا فائدة منها ولا يتعلق بمعرفتها حكماً شرعياً.
- 26- الراجح في معنى التنور، أنه المكان الذي يخبز فيه؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله يحمل على الأغلب الأشهر.

27- الراجح في عموم الطوفان؛ أنه لم يكن عاما ولا شاملا للأرض، إنما كان عاما وشاملا لقوم نوح فقط، أما أجزاء الكرة الأرضية الأخرى فلا يدل نص قاطع في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف على تغطيتها بالطوفان.

28- إن نبينا نوحا ﷺ سلك في دعوته- التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما- قومه إلى الله -تعالى- أساليب متعددة آملا من وراء ذلك أن يستجيبوا له، ومع ذلك كله ما آمن معه إلا قليل.

29- ومن الدروس والعبر التي نستفيدها من قصة هذا النبي العظيم، والداعية القدوة :

1. دلالة قصة نوح على مصدر القرآن.
 2. التلطف مع المدعوين.
 3. الشفقة على المدعو والنصح له.
 4. التبليغ بالكلام المبين.
 5. الدعوة إلى الله في كل وقت ملائم.
 6. التأكيد على عبادة الله وحده.
 7. استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله.
 8. هلاك القوم بالظلم.
 9. العمل الصالح وليس النسب هو وسيلة النجاة.
- وقبل أن أضع القلم: أتوجه إلى الله وحده بهذا العمل، وأرجو أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأعوذ بالله من فتنة القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أولا : فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	اسم السورة	رقم التسلسل
68	7	وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ ...	البقرة	1
68	19	تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ...		2
16	24	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا...		3
21	127	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ...		4
63	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...		5
11	185	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ...		6
16	205-204	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...		7
54	285	لَا نُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن ...		8
57	34	ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ...	آل عمران	9
18	62	إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...		10
17	112-111	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا...		11
68	135	وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ...		12
11	28	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ...	النساء	13
48	163	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...		14
12	46	وَهُدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ...	المائدة	15
58	48	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ...		16

37	67	وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...		17
73	9	وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ ...	الأنعام	18
112	52	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ...		19
57-56	86-84	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ...		20
105	90	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ...		21
79	34	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ...	الأعراف	22
-59-51 -93-61 -98-94 110-99	59	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...		23
-70-69 106-73	60	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ...		24
94	61-60	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ...		25
-70-51 106	62-61	قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ...		26
73-71	63	أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن ...		27
66	64	وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا ...		28
61	65	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ...		29
61	73	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ...		30
62	80	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ...		31

62	85	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ...		32
63	96	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا ...		33
101	130	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ...		34
17	167	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ ...		35
13-2	176	فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ ...		36
91	25	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ...	الأنفال	37
114-79	13	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن ...	يونس	38
87-86	73	فَكَذَّبُوهُ فَنجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ ...		39
51	25	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...	هود	40
59	26-25	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...		41
-71-69 76-74	27	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...		42
72	28	قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ ...		43
118	29	وَيَنْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ...		44
96	31-29	وَيَنْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ...		45
113-69	32	قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا ...		46
102	34	وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ ..		47
-89-80 102	36	وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ ...		48

81-80	37	وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا .	49
81	38	وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ ...	50
81	39-38	فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ ...	51
-37-29 -41-38 -83-80 101-88	40	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ...	52
85	41	أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَجْرَيْهَا...	53
84	41-40	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ...	54
64	42	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ...	55
86	42-41	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ...	56
87	43-42	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ...	57
32	44-42	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ...	58
37	43	فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ	59
-39-33 -87-79 114	44	وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	60
34	45	وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ..	61
88	47-45	وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ..	62
89-34	46	قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ...	63
117-89	47	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ ...	64

90	48	قِيلَ يٰنُوحُ اٰهْبِطْ بِسَلٰمٍ ...		65
105-15	49	تَلٰكَ مِنْ اَنْبَاِ الْعَيِّبِ نُوْحِيهَا...		66
51	51	يَنْقُومَ لَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا ...		67
116	102	وَكَذٰلِكَ اَخَذُ رَبِّكَ اِذَا ...		68
115	117	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ...		69
-14-2 105-26	120	وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَاِ ...		70
19-4	3	مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ ...	يوسف	71
101	47	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ...		72
101	49	ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ ...		73
102	103	وَمَا اَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ ...		74
-12-2 -19-14 61-26	111	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ...		75
16	17	كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ ...	الرعد	76
107	4	اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ اِلَّا بِلِسَانٍ ...	ابراهيم	77
61	9	اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِيْنَ مِنْ ...		78
9	25-24	ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...		79

16	9	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ...	الحجر	80
9	50-49	نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا ...		81
10	66-61	فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ ...		82
81	14	وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ...	النحل	83
59-8	36	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ...		84
111-106	125	أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ..		85
48	3	إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ...	الإسراء	86
56	17	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ ...		87
16	88	قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ ...		88
21	18	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ ...	مريم	89
21	19	قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ ...		90
21	23	فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ..		91
21	24	فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي ...		92
56	74	وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ...		93
110	27-25	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ...	طه	94
116	44-41	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ .	الحج	95
13	46-45	فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ...		96
11	78	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ		97

59-51	23	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ..	المؤمنون	98
77	25-23	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ..		99
113	25	إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ...		100
73-64	24	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...		101
71	25-24	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...		102
83	26	قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا ...		103
56	31	ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ...		104
36	3	الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ...	النور	105
36	26	الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ ...		106
11	5	وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ...	الفرقان	107
11	6	قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ ...		108
56	28	وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ...		109
12	84	وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ...	الشعراء	110
54	105	كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوْحٍ الْمُرْسَلِينَ ...		111
93	106	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ...		112
51	107	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ...		113
75-74	111	قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ ...		114
71	114-111	قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ ...		115

113-78	116	قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْوُحُ ...		116
83	118-117	قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ...		117
86	120-119	فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ ..		118
117	214	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ...		119
19	25	فَلَمَّا جَاءَهُ رُوقَصَّ عَلَيْهِ ...	القصص	120
-42-2 -51-44 114-79	14	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	العنكبوت	121
100	15-14	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ		122
82	15	فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ...		123
107	18	وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا ...		124
114	13	يَسْبِي لَّا تُشْرِكُ بِاللَّهِ ...	لقمان	125
11	20	وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ...		126
47-45	7	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ...	الأحزاب	127
102	13	وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ...	سبأ	128
13	46	قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَأَحِدَةٍ ...		129
81	41	وَأَيُّهُ هُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ...	يس	130
82	42	وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ		131
83	76-75	وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ ...	الصفات	132

46	79-75	وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَئِنَّمَا ...		133
37	77-76	وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ		134
24	79-78	وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ		135
47	80	إِنَّا كَذَّابِكُ كَجَزَى ...		136
47	81	إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ...		137
47	83	وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ...		138
13	138-137	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ ...		139
111	5	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ...	غافر	140
42	42	لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ	فصلت	141
-58-45 60	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا ...	الشورى	142
83	37	وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ ...	الذاريات	143
66-65	9	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ...	القمر	144
83	10	فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ...		145
84	12-10	فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ...		146
82	13	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ ...		47
64	14	تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً ...		148
82	15	وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ...		149
51	26	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ...	الحديد	150

119	10	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ...	الحشر	151
110-109	13-10	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ..	الصف	152
-31-30 117	10	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ...	التحريم	153
82	12	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ...	الحاقة	154
11	4	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ...	القلم	155
-52-51 -97-93 98	1	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...	نوح	156
94	2-1	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...		157
107	2	يَنْقُومِ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ		158
99	3-2	قَالَ يَنْقُومِ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ...		159
96	4-2	قَالَ يَنْقُومِ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ...		160
108	5	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي...		161
67	7	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ		162
95	9-5	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا .		163
110-97	12-10	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ... .		164
98	13	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ...		165

99	14-13	مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ ...		166
99	20-15	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ ...		167
115	21	قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ...		168
64-39	23	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ...		169
65	24-22	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ...		170
86	25	مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا.		171
103	28-25	مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا.		172
38-29	28	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ		173
-46-35 80	26	رَبِّ لَا تَذَرَّ عَلَيَّ الْأَرْضِ ...		174
-83-64 119	27-26	رَبِّ لَا تَذَرَّ عَلَيَّ الْأَرْضِ ...		175
112	9	إِنَّمَا نَطَعِكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَنَا ...	الإنسان	176
9	18-19	إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ ...	الأعلى	177

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
1	من لا يشكر الناس لا يشكر الله ...	ج
2	أفلا أكون عبداً شكوراً...	12
3	بعثت بالحنفية السمحة ...	12
4	ما بغت امرأة نبي قط ...	31
5	سام أبو العرب، وحام أبو الحبش	37
6	ألا أرى عليك لباس من لا يعقل! ...	38
7	صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح....	39
8	بعث الله نوحاً لأربعين سنة....	42
9	كان نوح إذا طعم طعاماً	49
10	قال: آدم، قلت: أونيبي كان؟ ...	49
11	ولكن اتتوا نوحاً، فانه أول رسول بعثه الله...	50
12	يجتمع المؤمنون يوم القيامة ...	53
13	كان بين نوح و آدم عشرة قرون...	55
14	خيركم قرني...	56
11	ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ...	60
12	يجيء نوح وأمه...	63
13	قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح ...	82
14	بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم ...	103
15	ما كان رسول الله ع يسرد	107
16	كان إذا تكلم أعادها ثلاثاً	108
17	هلك المتنتعون ...	108
18	إن أبغضكم الي	108
19	كان النبي ع يتخولنا بالموعظة	109
18	كان النبي ع يتخولنا بها مخافة	109
19	مر الملاء من قريش	112
20	إن الناس إذا رأوا الظالم ...	115

116	إن الله ليملئ للظالم حتى إذا ...	21
117	يا فاطمة ابنة محمد	22

ثالثاً: فهرس الأعلام الهامة

رقم الصفحة	اسم العلم	الرقم
28	ابن الأثير	1
95-45-43-28	ابن الجوزي	2
53-52-50-45	ابن العربي	3
32-31	ابن القيم	4
60-19	ابن تيمية	5
117-112-38-37-12	ابن حنبل	6
48	ابن سعد	7
102-97-96-95	ابن عادل	8
119-84-82-69-68-66-42	ابن عاشور	9
57-46	ابن عطية	10
7	ابن فارس	11
-95-93-88-78-76-74-73-72-71-56-55-28 118-115-114-110-105-98	ابن كثير	13
84-28-7	ابن منظور	14
47	أبو السعود	15
40	أبو خليل	16
119	أبو عبيد	17
15	آل نوفل	18
55-48	الأثري	19
98	الأخفش	20
22	الأشقر	21
82-70-55-12	الأصفهاني	22
91-79-76-66-49-36	الآلوسي	23
96-81-80	الأندلسي	24
24	الباقلاني	25
116-109-108-82-63-56-53-50-39-28-12	البخاري	26
24	البدوي	27

12	البغدادي	28
34	البلتاجي	29
45-43	البيضاوي	30
49	البيهقي	31
115-108-107	الترمذي	32
12	الثعلبي	33
54	الجرجاني	34
34	الجصاص	35
7	الجوهري	36
55-54-49-42-30	الحاكم	37
39	الحموي	38
70-47	الخازن	39
102-93-85-70-60-53-50-40-29-20-19-15	الخالدي	40
24	الخطابي	41
20	الخولي	42
44	الذهبي	
-80-74-72-69-67-57-49-48-47-43-37-36 -111-101-100-98-96-90-89-86-85-81 115-112	الرازي	43
7	الزبيدي	44
19	الزجاج	45
99-91-82-67-66-54-46-30	الزحيلي	46
96-91-66-54-48-43	الزمخشري	47
100	الزنداني	48
102	السعدي	49
48	السمعاني	50
101-95	السمين الحلبي	51
105-54-37-31	السيوطي	52
12	الشبلي	53

90	الشعراوي	54
99	الشنقيطي	55
113-31	الشوكاتي	56
107-105-90-83	الصابوني	57
101-96-90-85-57-46-37-31-28	الطبري	58
109	العسقلاني	60
97	الغزالي	61
23	الفاخوري	62
95	الفراء	63
96-7	الفيروز أبادي	64
96-94-52	القاسمي	65
93	القرضاوي	66
-66-61-58-52-50-49-45-40-32-30-29-28 -84-81-80-79-78-77-76-75-74-69-68-67 116-115-114-106-99-97-89-88	القرطبي	67
98	القشيري	68
7	القطان	69
47	الكسائي	70
48	الكلبي	71
119	الماوردي	72
107	المبارك فوري	73
28	المسعودي	74
59-57	الميداني	75
36	النجار	76
29	النحاس	77
97	النسفي	78
108	النوي	79
8	الهاشمي	80
90-42-40	بوكاي	81

74	جاد المولى	82
70	حجازي	83
105-62	حوى	84
25-23	خلف الله	85
-93-89-80-79-77-76-74-72-71-67-57 118-117-116-114-113-112-105	رضا	86
93-62	زيدان	87
60	سابق	88
62	شلتوت	89
93	صقر	90
91-90-25-8	طبارة	91
103-100-93-91-90-40-29-23-8	عباس	92
97	عبد العزيز	93
93	علوان	94
107-98-93	عمارة	95
101	عمرو خالد	96
-85-68-67-65-62-55-52-34-32-20-19-10 103-100-93-92-88-87	قطب	97
99	متولي	98
108-103-60-56-53-50	مسلم	99
23	نجم	100
23	هلال	101

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع .

1. ابن الأثير. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. **الكامل في التاريخ**. دار الكتب العلمية(بيروت)ط1: 1403هـ-1983م. مراجعة وتعليق: نخبة من العلماء.
2. ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1412هـ- 1992م. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا+ مصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور.
3. ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **زاد المسير في علم التفسير**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1414هـ- 1994م.
4. ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن**. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط.
5. ابن تيمية. تقي الدين أحمد الحرّاني. **جواب أهل العلم والإيمان**. دار القاسم (الرياض). ط1: 1417هـ- 1996م. تحقيق: عبد العزيز بن فتحي بن السيد ندى.
6. ابن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني. **مسند الإمام احمد بن حنبل**. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط1: 1421هـ-2001م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
7. ابن سعد. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري. **الطبقات الكبرى**. دار الكتب العلمية (بيروت). ط1: 1410هـ- 1990م. دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا.
8. ابن عادل. أبو حفص. عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. **اللباب في علوم الكتاب**. دار الكتب العلمية(بيروت). ط1: 1419هـ-1998م. تحقيق: عادل أحمد بن الموجود + علي محمد معوض.
9. ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر . **التحرير والتنوير(30مج)** مؤسسة التاريخ (بيروت) ط1: 1420هـ-2000م

10. ابن عطية. المحرر الوجيز

11. ابن فارس. أبو الحسين احمد. معجم مقاييس اللغة. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده(مصر). ط2: 1392هـ - 1972م. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون.

12. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط: 1402هـ - 1982م.

13. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء. دار الجيل (بيروت). ط3: 1405هـ - 1985م. تحقيق: د. السيد الجميلي.

14. ابن منظور. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر(بيروت) ط1: 1410هـ - 1990م.

15. أبو السعود. محمد العمادي الحنفي. تفسير أبي السعود. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط: 1402هـ - 1982م.

16. أبو خليل. شوقي. أطلس القرآن. دار الفكر المعاصر(بيروت)، ودار الفكر(دمشق). ط1: 1423هـ - 2002م.

17. أبو عبيد. القاسم بن سلام. كتاب الأموال. دار الفكر(القاهرة) ط3: 1401هـ - 1981م. تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس.

18. آل نوفل. حمدي بن محمد نور الدين. قصص القرآن. مكتبة الصفا- مكتبة المورد (القاهرة). ط1: 1423هـ - 2002م.

19. الأثري. أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي. صحيح قصص الأنبياء. من منشورات الدعوة السلفية. (بلا) ط.

20. الأخفش. أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البصريّ. معاني القرآن. الصفاة(الكويت)ط2: 1401هـ-1981م. تحقيق: د.فائز فارس.
21. الأشقر. عمر سليمان عبد الله. صحيح القصص النبوي. دار النفائس (عمان). ط2 : 1418هـ - 1997م.
22. الأصفهاني. أبو نعيم احمد بن عبد الله. حلية الأولياء. دار الفكر(بيروت).
23. الأصفهاني. الراغب. مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم(دمشق)، والدار الشامية (بيروت). ط1: 1412هـ - 1992م. تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
24. الألباني. محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. مكتبة المعارف. (بلا) ط: 1415هـ-1995م.
25. الألويسي. أبو الفضل محمود شكري. روح المعاني. دار التراث (القاهرة). (بلا) ط.
26. الباقلاني. أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن
27. البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي. صحيح البخاري. دار الفكر(بيروت). (بلا) ط: 1419هـ - 1998م. تحقيق: عبد العزيز بن باز.
28. البخاري. أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي. التاريخ الكبير. دار الكتب العلمية(بيروت)(بلا)ط: 1407هـ-1986م.
29. البدوي. احمد احمد، من بلاغة القرآن (بلا) ط .
30. البرهان فوري. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت- شارع سوريا). (بلا) ط: 1399هـ-1979م. ضبطه ووضع فهرسه ومفاته: الشيخ صفوت السقا .

31. البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. دار الكتب العلمية(بيروت) . ط1: 1417هـ-1997م. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
32. البلتاجي. محمد الأنور أحمد. من وصايا القرآن الكريم. دار التراث العربي(بيروت) ط2: 1405هـ- 1985م.
33. البيضاوي. أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. دار الجيل. (بلا) ط.
34. الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. دار الفكر(بيروت). ط2: 1403هـ-1983م. حققه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان.
35. الثعلبي. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. عرائس المجالس. المكتبة الثقافية (بيروت). (بلا) ط.
36. الجصاص. أبو بكر أحمد بن علي الرازي. أحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي(بيروت) ط1: 1405هـ-1985م. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
37. الجوهري. ابو نصر إسماعيل بن حمّاد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1420هـ-1999م. تحقيق: د. ايميل بديع يعقوب ود.محمد نبيل طريفي.
38. الحموي. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان. دار صادر(بيروت). (بلا) ط.
39. الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. دار المعرفة (بيروت). (بلا) ط.
40. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. البيان في إعجاز القرآن. دار عمار(عمان). ط3: 1413هـ- 1992م .

41. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**. دار القلم (دمشق). ط1: 1491هـ - 1998م.
42. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **مع قصص السابقين في القرآن**. دار القلم (دمشق). ط4: 1425هـ - 2004م.
43. الخالدي. صلاح عبد الفتاح. **المنهج الحركي في ظلال القرآن**. دار المنارة (جدة) ط1: 1406هـ - 1986م.
44. الخولي. البهي. **تذكرة الدعاة**. مكتبة دار التراث (القاهرة) ط8: 1408هـ - 1987م.
45. الذهبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعلام النبلاء**. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط1: 1403هـ - 1983م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط + إبراهيم الزبيق .
46. الرازي. أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الطبرستاني. **التفسير الكبير**. دار الكتب العلمية (طهران). ط2 .
47. الزبيدي. محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي. **شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الفكر (بلاط).
48. الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم بن السري. **معاني القرآن وإعرايه**. عالم الكتب (بيروت). ط1: 1408هـ - 1988م. تحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي.
49. الزحيلي. وهبة الزحيلي. **التفسير الوسيط**. دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق). ط1: 1422هـ - 2001م.
50. الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة). ط الأخيرة: 1392هـ - 1972م.

51. الزنداني. عبد المجيد عزيز. **توحيد الخالق**. مؤسسة الكتب الثقافية(بيروت) ط4: 1411هـ-1991م.
52. السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. دار الفجر للتراث(القاهرة) ط1: 1424هـ-2003م. تقديم: محمد بن صالح العثيمين.
53. السمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. **الأنساب**. دار الجنان (بيروت). ط1: 1408هـ-1988م. تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي.
54. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. دار المعرفة(بيروت) ط4: 1398هـ-1978م.
55. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير المأثور**. دار الكتب العلمية(بيروت) ط1: 1411هـ-1990م.
56. الشعراوي. محمد متولي. **المنتخب من تفسير القرآن الكريم**. دار النصر (بيروت) (بلا)ط.
57. الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. عالم الكتب(بيروت) (بلا) ط .
58. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. دار إحياء التراث العربي (بيروت). (بلا) ط.
59. الصابوني. محمد علي. **صفوة التفاسير**. دار الصابوني(القاهرة). ط9: 1396هـ-1976م.
60. الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**. دار الكتب العلمية(بيروت) : 1417هـ - 1997م.

61. العسقلاني. أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. مكتبة لكرليات الأزهرية (القاهرة). (بلا) ط: 1398هـ—1978م. ضبط أحاديثه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد+ مصطفى محمود الهواري .
62. الغزالي. محمد. مع الله. المكتبة الإسلامية. ط5: 1401هـ—1981م.
63. الفاخوري. حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم. دار الجيل (بيروت). ط2: 1995م.
64. الفراء. أبو زكريا يحيى بن زياد . معاني القرآن. عالم الكتب (بيروت) ط2: 1980م.
65. الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. المكتبة العلمية (بيروت) (بلا) ط. تحقيق: عبد العليم الطحاوي.
66. الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. دار الجيل (بلا) ط .
67. القاسمي. محمد جمال الدين القاسمي. محاسن التأويل. دار الفكر (بيروت). ط2: 1398هـ — 1978م. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.
68. القرضاوي. يوسف عبد الله. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق (القاهرة). ط1: 1424هـ — 2004م.
69. القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. دار الفكر (بيروت). ط2: 1372هـ — 1952م. تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، وتحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش.
70. القشيري. أبو قاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات. دار الكتب العلمية (بيروت) ط1: 1420هـ—2000م. تعليق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

71. القطان. مناع. **مباحث في علوم القرآن**. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط9: 1400هـ - 1980م.
72. **الكتاب المقدس (أي العهد القديم والعهد الجديد)**. سفر التكوين. الإصحاح السابع: دار الكتاب المقدس (في الشرق الأوسط) (بلا) ط1996م.
73. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي. **الأحكام السلطانية**. دار الفكر (بيروت) (بلا) ط .
74. المباركفوري. أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي**. دار الفكر (بيروت). ط3: 1399هـ - 1979م. ضبطه وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان.
75. المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. دار القلم (بيروت). ط1: 1408هـ - 1989م. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي.
76. المنار. محمد رشيد رضا. **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**. دار المعرفة (بيروت) ط2.
77. الميداني. عبد الرحمن حسن حبنكة. **العقيدة الإسلامية وأسسها**. دار القلم (دمشق). ط2: 1399هـ - 1979م. دار الكتاب العربي (بيروت). (بلا) ط: 1406هـ - 1985م.
78. النجار. عبد الوهاب. **قصص الأنبياء**. دار التراث العربي (بيروت). ط3 .
79. النحاس. أبو جعفر أحمد بن إسماعيل. **إعراب القرآن**. عالم الكتب ومكتبة النهضة. ط1. تحقيق: زهير غازي زاهر.
80. النسفي. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. **تفسير النسفي المسمى بمدالك التنزيل وحقائق التأويل**. دار الفكر (بلا) ط.

81. النووي. أبو زكريا محي الدين بن شرف. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. دار الجبل (بيروت) تقديم: د. محمد جميل غازي.
82. الهاشمي. أحمد. جواهر الأدب. دار الفكر. ط: 1.
83. بوكاي. موريس. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف (لبنان) ط4: 1977م.
84. جاد المولى. محمد أحمد. قصص القرآن. دار النصر (دمشق- بيروت) ط1: 1404هـ- 1984م.
85. حجازي. محمد محمود. التفسير الواضح. دار الجبل (القاهرة) ط6: 1389هـ- 1969م.
86. حوى. سعيد. الأساس في التفسير. دار السلام (القاهرة). ط1: 1405هـ- 1985م.
87. خالد. عمرو. قصص الانبياء. دار المعرفة (بيروت) ط1: 1427هـ- 2006م.
88. زيدان. عبد الكريم. أصول الدعوة. ط3: 1396هـ- 1976م.
89. زيدان. عبد الكريم. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط3: 1414هـ- 1994م.
90. زيدان. عبد الكريم. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة. مؤسسة الرسالة (بيروت). ط1: 1421هـ- 2000م.
91. سابق. سيد سابق. العقائد الإسلامية.
92. شلتوت. محمود. تفسير القرآن الكريم. دار الشروق. ط5: 1973م.
93. صقر. عبد البديع، كيف ندعو الناس. مكتبة وهبة (القاهرة). ط10: 1410هـ- 1990م.

94. طَبَّارَة. عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم. دار العلم للملايين (بيروت). ط17: 1989م.
95. عباس. فضل حسن. القصص القرآني إحيائه ونفحاته. دار الفرقان (عمان). ط1: 1407هـ - 1987م.
96. عباس. فضل حسن. قصص القرآن الكريم. دار الفرقان (عمان). ط1: 1420 هـ - 2000م.
97. عباس. فضل حسن + سناء فضل حسن. إعجاز القرآن الكريم. دار الفرقان (عمان). (بلا) ط: 1412هـ - 1991م .
98. علوان. عبد الله ناصح. كيف يدعو الداعية. دار السلام. ط1: 1405هـ - 1985م .
99. عمارة. محمود محمد. فقه الدعوة من قصة موسى. مكتبة الإيمان (المنصورة). ط1: 1417هـ - 1997م.
100. قطب. سيد إبراهيم. التصوير الفني في القرآن. دار الشروق. ط8: 1403هـ - 1983م.
101. قطب. سيد إبراهيم. في ظلال القرآن. دار الشروق (بيروت). ط9: 1400هـ - 1980م.
102. متولي. أحمد مصطفى. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية. دار ابن الجوزي (القاهرة) ط1: 1426هـ - 2005م.
103. مسلم. أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. دار إحياء الكتب العربية. (بلا) ط: 206-261هـ . صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي .
104. نجم. محمد يوسف. فن القصة. دار بيروت (بيروت). ط2: 1956م.

105. هلال. محمد غنيمي. النقد في الأدب الحديث. دار نهضة مصر (القاهرة).
(بلا ط: 1996م).

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Noah_ Peace Be Upon Him_ In The Holy Quran

Submitted By:

Hasan Mohammad zahal

Supervisor:

Dr. Mohsen S. Al-khaldy

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Master degree of Islamic law (Shari'a) in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies, at An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2008

Noah_ Peace Be Upon Him_ In The Holy Quran

Submitted By:

Hasan Mohammad zahal

Supervisor:

Dr. Mohsen S. Al-khaldy

Abstract

Noah-Peace be upon him- is God's first messenger sent to people on earth after Adam- Peace be upon him-⁽¹⁾. God sent him to his people to order them to worship God only and give up worshipping anything else of statues and other. He also feared them of God's torture if they diverge and not believe in him.

But they insisted on their disbelief.

Noah-Peace be upon him- stayed with his people one thousand year less than fifty. He called unto them day and night, in secretly and openly and they argued each other. Nevertheless, only a few of his people believed. God-Almighty-told him that there would be no more believers.

At that time Noah called down evil upon them. God told us about Noah's call:[And Noah said:" My Lord! Leave no one of the disbelievers on the earth! ﴿26﴾ "If you leave them, they will mislead your slaves, and they will beget none but wicked disbelievers" ﴿27﴾ [Noeh:26-27].

Ibin katheer said" And indeed Noah called down evil upon them- because of his experience with them-his people. And because he stayed with them

thousand years less than fifty⁽²⁾. Al-Qortobi quoted from Al-Dhahhak that God-Al-Mighty-told Noah- peace be upon him-that there will be no more believers but those who had already believed. So Noah-Peace be upon him-called down evil upon them⁽³⁾. God-AL-Mighty-responded to Noah's call and order him to build a ship. When he finished that mission and their destruction by sinking approached, God ordered him to carry in it of what God has told us.

God said:[(So it was) till then there came Our Command and the oven gushed forth(water like fountains from the earth).We said:" Embark therein, of each kind two(male and female),and your family, except him against whom the Word has already gone forth, and those Who believe. And none believed with him, except a few." [Hûd:40].

Thus, God destructed them by sinking after He gave them that long period of time because God's mill grinds slow but sure.

This is the punishment of tyranists and atheists.

References

- 1- Ibn katheer : interpretation of the great kor'an p-223/2 .
- 2- The previous reference p-427/4 .
- 3- AL-Qortobi : The inclusive for kor'an rules .